بِرَّ الْوَالِدَيْنِ

{وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ } [هود: ٢٩]

سبب فى تفريج الكربات

واجب الأبناء لدى الآباء

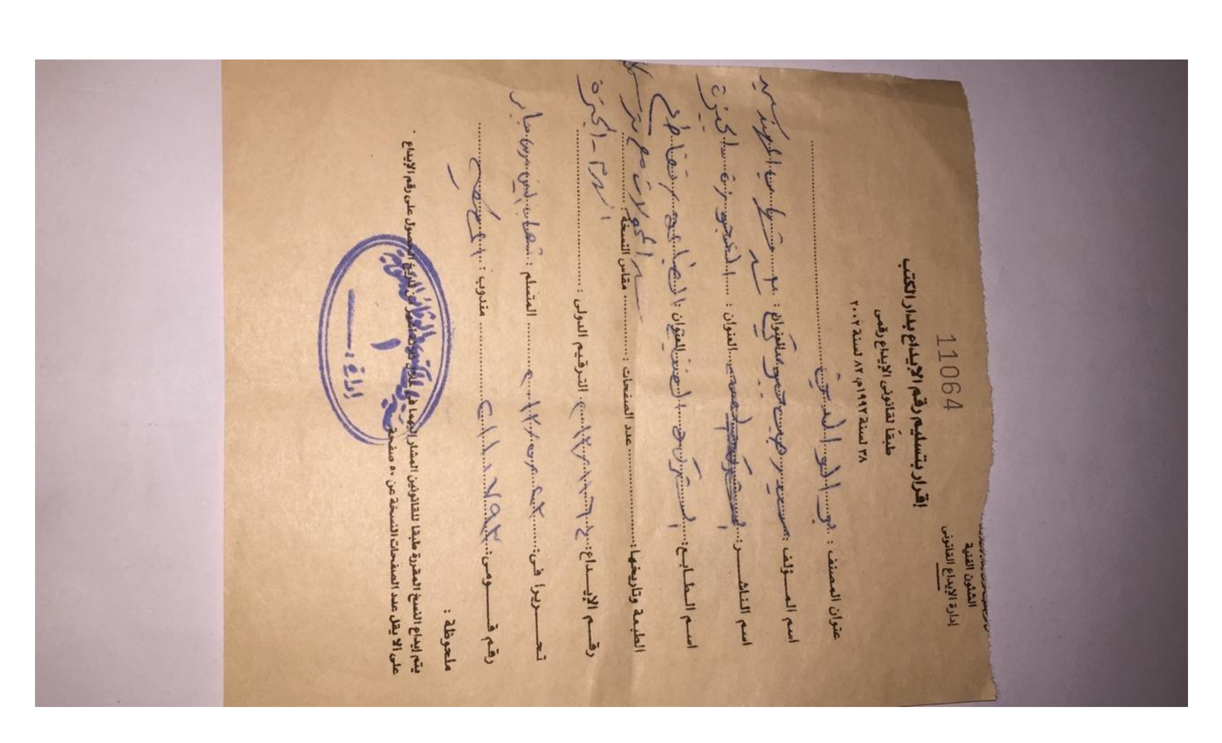
وواجب الآباء لدى الأبناء

جَمْع وترتيب

سيد رجب جيوشى

ماجيستير أصول الدين قسم الحديث وعلومه

١٤٣٥هـ- ٢٠١٣م



الشئون الفنية
إدارة الإيداع القانونى

11064

إقرار بتسليم رقم الإيداع بدار الكتب

طبقًا لقانونى الإيداع رقمى

٣٨ لسنة ١٩٩٢م، ٨٢ لسنة ٢٠٠٢

عنوان المصنف : بر الوالدين

اسم المؤلف : .... العنوان : ....

اسم الناشر : .... العنوان : ....

اسم الطابع : .... العنوان : ....

الطبعة وتاريخها : .... عدد الصفحات : .... مقاس النسخة ....

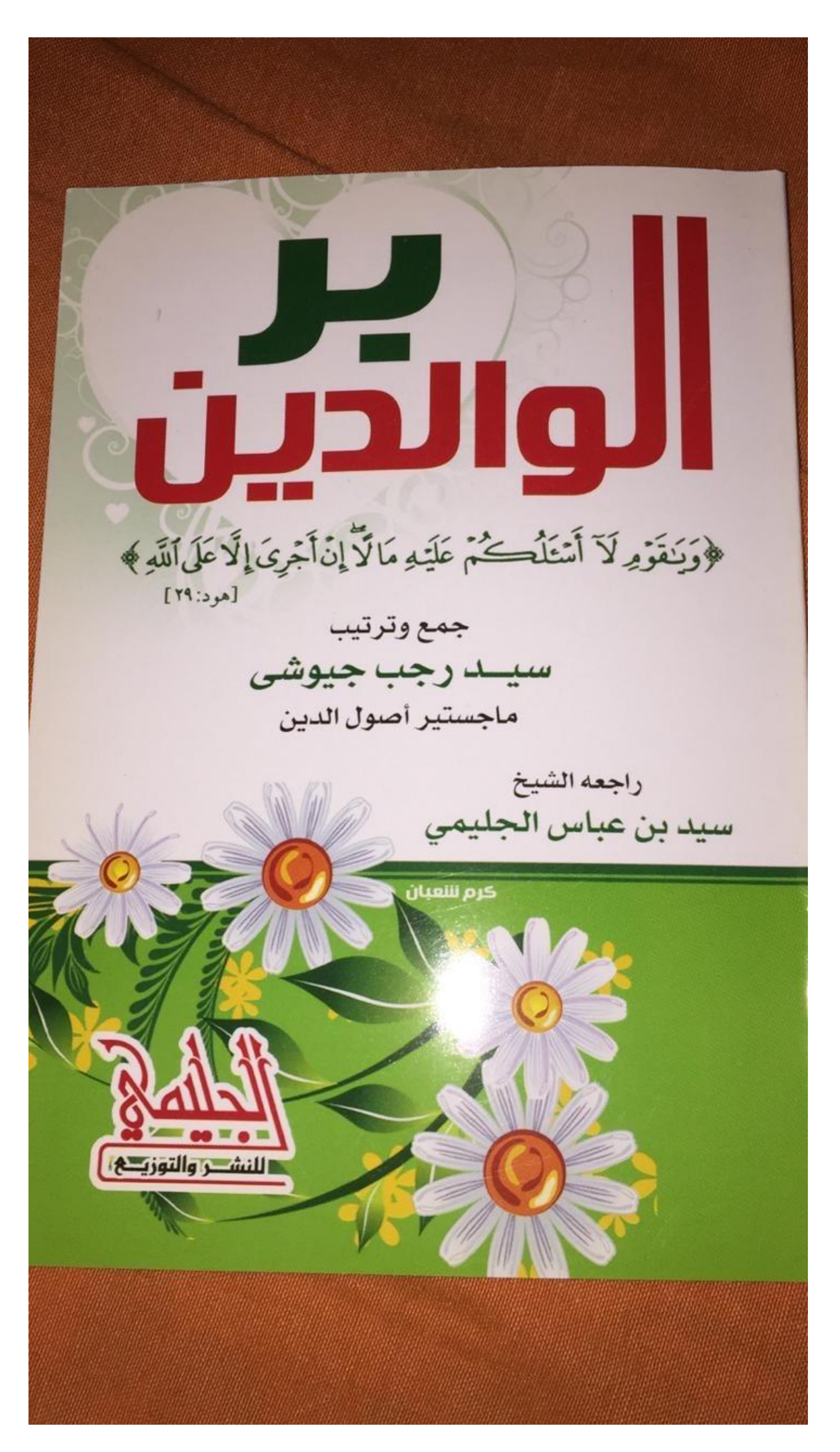
رقم الإيداع : .... الترقيم الدولى : ....

تحريرا فى : .... المتسلم : ....

رقم قومى : .... مندوب : ....

ملحوظة :

يتم إيداع النسخ المقررة طبقا للقانونين المشار إليهما فى .... من تاريخ الحصول على رقم الإيداع على الا يقل عدد الصفحات النسخة عن ٥٠ صفحة .


بر
الوالدين
﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾
[هود: ٢٩]
جمع وترتيب
سيد رجب جيوشى
ماجستير أصول الدين
راجعه الشيخ
سيد بن عباس الجليمي
كرم شعبان
الجليمي
للنشر والتوزيع

{هدية الكتاب}

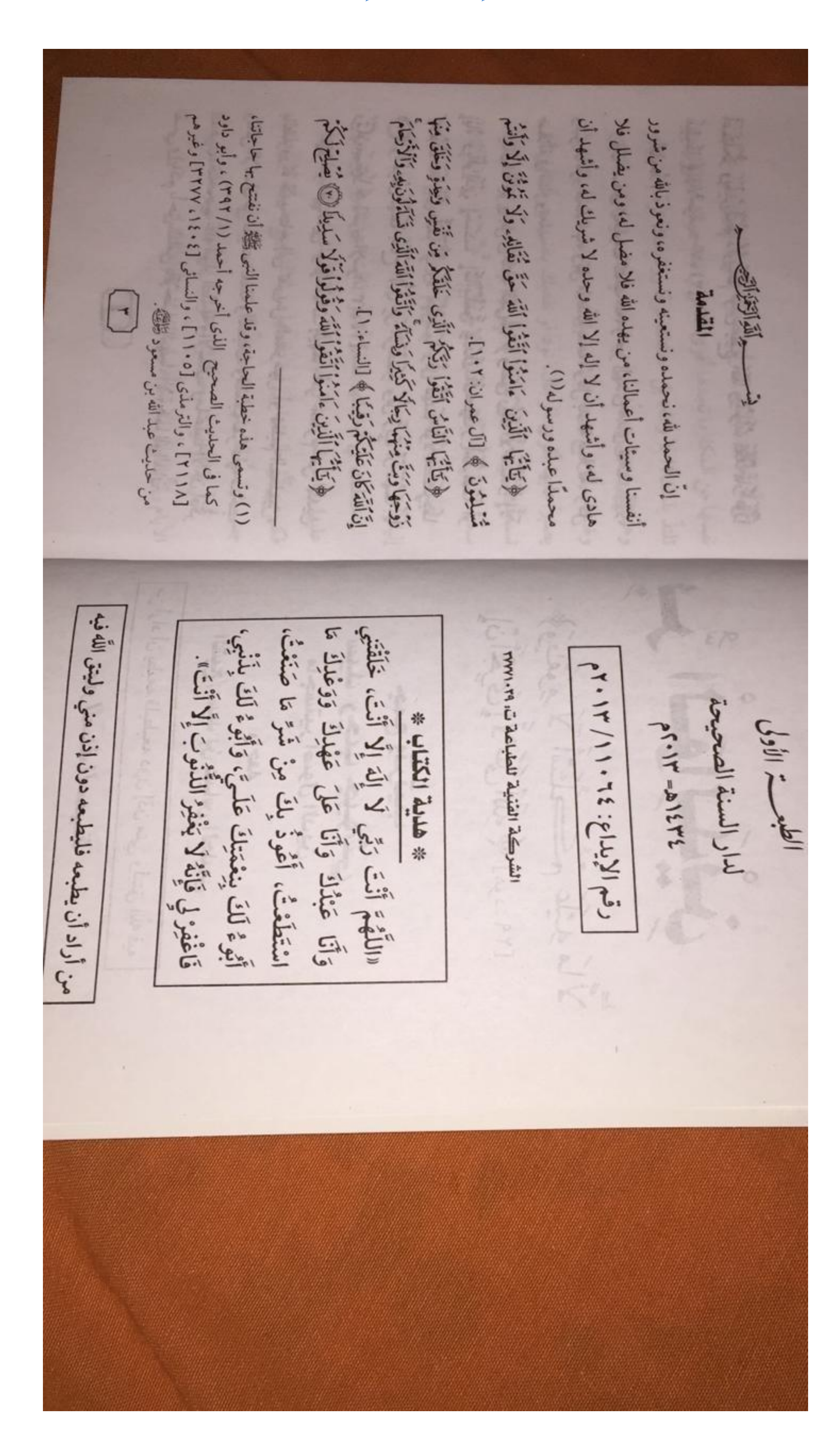
أصدر كتيب بر الوالدين بالحديث المتفق عليه من حديث عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».[1]

وذلك اقتدائا بالإمام البخاري –رحمه الله-فقد صَدَّرَ الْبُخَارِيُّ كِتَابَهُ " الصَّحِيحَ "بهذا الحديث وَأَقَامَهُ مَقَامَ الْخُطْبَةِ لَهُ؛ إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ ؛ لَا ثَمَرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

والله أسأل أن يجعل جمع هذا العمل خالصا لوجهه عز وجل ؛ وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

[1] أخرجه البخاري رقم(١) واللفظ له ،ومسلم رقم(١٩٠٧).



الطبعة الأولى
لدار السنة الصحيحة
١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ١١٠٦٤/ ٢٠١٣م

الشركة الفنية للطباعة ت: ٢٧٧٧١٠٢٩

* هدية الكتاب *

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَـيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ

(١) وتسمى هذه خطبة الحاجة، وقد علمنا النبي ﷺ أن نفتتح بها حاجاتنا، كما في الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد (١/ ٣٩٢)، وأبو داود [٢١١٨]، والترمذي [١١٠٥]، والنسائي [١٤٠٤، ٣٢٧٧] وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٣

مقدمة

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}
وَبِهِ ثِقَتِي وَعَلَيْهِ اعْتِمَادِي رَبِّ يَسِّرْ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[1].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: (١٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ النساء: (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما ﴾الأحزاب: (٧٠ ، ٧١) .

أما بعدُ؛ فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشر الأمورِ محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالةٌ، وكل ضلالةٍ في النار وبعد.

قال الله عز وجل فى كتابه الكريم: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء: ٢٣] قال ابن كثير قَالَ مُجَاهِدٌ: {وَقَضَى} يَعْنِي: وَصَّى، { رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} وَلِهَذَا قَرَنَ بِعِبَادَتِهِ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَقَالَ: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} أَيْ: وَأَمَرَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لُقْمَانَ: ١٤] .[2]

وقال تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَولِ عِيسَى لِلْقَوْمِ: {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} [مريم: ٣١-٣٢] دلت هذه الآية على أن الصلاة والزكاة وبر الوالدين كان واجبا على الأمم السالفة، والقرون الخالية الماضية، فهو من الثابت المحكم في كل الشرائع.

فإن بر الوالدين والإحسان إليهما أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا يحتاج إلى تدريس المدرسين أو تعليم المعلمين، ولكن الإنسان من طبيعته الغفلة والنسيان، والقلب تمرّ عليه سحب الذهول، فتحجب عنه أنوار الطاعة والإيمان، وما علينا إلا أن أذكر نفسي وإياكم بأحق الناس بالإحسان إليهما ألا وهما الوالدان.

أولا بالأم:-

تلكم المرأة الضعيفة التي لا تقوى على حماية نفسها من المكاره، تجدها أقوى الناس في مدة حملك، فهل تراها تلتذّ بذلك؟! لا والله، بل حملتك كرهًا ووضعتك كرهًا، حملتك وهنًا على وهن، ضعفًا على ضعف، ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف الوضع،

[1] أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رقم(٨٦٨).
[2] انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٦٤).

وبعد ذلك تحمل أعباء تنوء بحملها الجبال، ولا يصبر عليها أقوى الرجال، تود لو تفديك بنفسها عوضًا من أن تسمعك تتأوّه، وتبقى كذلك لا تبالي إلا بحالك، حتى تراك راضيا سعيدا، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

قف يا عبد الله، وتأمل معي عظم قدر الأم وجميل إحسانها إليك:

حملتك في أحشائها تسعة أشهر, ذاقت فيها المر، وتغيرت عليها دنياها، فما المذاق هو المذاق، ولا المعاشرة هي المعاشرة! فكم من أنَّةٍ خالجتها، وزفرة دافعتها من ثقلك بين جنبيها, لا يزداد جسمك نموًّا إلا وتزداد معه ضعفًا!!

تُسَرُّ إذا أحسَّت بِحركتك داخل جوفها، ولا يزيدها تعاقب الأيام وكرُّ الليالي إلا شوقًا لرؤيتك واشتياقًا لِطلَّتك!

ثم تأتي ساعة خروجك؛ فتعاني ما تعاني من خروجك!!

فلا تَسَلْ عن طَلْقِها الذي يُعتصر له الفؤاد، وآلامها التي تُعجزها عن البكاء!

حتى إذا ما خرجت من أحشائِها، وشمَّت عبق رائحتك؛ نسيت آلامها، وتناستْ أوجاعها، وعلقت فيك جميع آمالها، فكنت أنت المخدوم في ليلها ونهارها، كنت أنت رهين قلبها، ونديم فكرها, تغذيك بصحتها، وتدثرك بحنانها، وتُميط عنك الأذى بيمينها، تخاف عليك من اللمسة، وتشفق عليك من الهمسة.

إذا صرخت فزَّ قلبها إليك، وإذا جعت تلهفت من أجل سد جوعتك، سرورها أن ترى ابتسامتك، راحتها أن تضمك إلى صدرها، إذا مسَّك ضرٌّ لم يرقأ لها دمع, ولم تكتحل بنوم, تفديك بروحها وعافيتها!![1].

الأم: لا توفيها الكلمات، ولا ترفعها العبارات, وإنما محلها سويداء القلب، وكفى به مستقرًّا. وكما قال الشاعر:

لأُمِّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَثِيرُ ... كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ بَاتَتْ بِثِقَلِك تَشْتَكِي ... لَهَا مِنْ جَوَاهَا أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَدْرِي عَلَيْهَا مَشَقَّةٌ ... فَمِنْ غُصَصٍ مِنْهَا الْفُؤَادُ يَطِيرُ
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْك الْأَذَى بِيَمِينِهَا ... وَمَا حِجْرُهَا إلَّا لَدَيْك سَرِيرُ
وَتَفْدِيك مِمَّا تَشْتَكِيهِ بِنَفْسِهَا ... وَمِنْ ثَدْيِهَا شُرْبٌ لَدَيْك نَمِيرُ
وَكَمْ مَرَّةٍ جَاعَتْ وَأَعْطَتْك قُوتَهَا ... حُنُوًّا وَإِشْفَاقًا وَأَنْتَ صَغِيرُ
فَآهًا لِذِي عَقْلٍ وَيَتْبَعُ الْهَوَى ... وَآهًا لِأَعْمَى الْقَلْبِ وَهُوَ بَصِيرُ

---

[1] انظر: نقل من دائرة معارف الأسرة المسلمة جمع على بن نايف الشحودص١٠٤.

فَدُونَك فَارْغَبْ فِي عَمِيمِ دُعَائِهَا   فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ فَقِيرُ [١].

نعم يا أخي الكريم، ويا أختي الكريمة، عليكم بالتماس دعائها، فإن دعوتها ليس بينها وبين الله حجاب.

فكم ليلة سهرتها من أجل راحتك، وكم دمعات رقرقتها من أجل صحتك، ولسان حالها يقول:

فَنَمْ وَلَدِي بِمَهْدِكَ فِي هَنَاءٍ   وَدَاعِبْ طَيْفَ أَحْلامِ الرُّقَادِ
وَإِنْ حَلَّ الظَّلامُ بِجَانِحَيْهِ   وَأَرْخَى ظِلَّهُ فِي كُلِّ وَادِ
وَنَامَ الْخَلْقُ فِي أَمْنٍ جَمِيعًا   فَقَلْبِي سَاهِرٌ عِنْدَ الْمِهَادِ

ويا ليت عناءها ينتهي عند هذا؛ بل ما تزيدها الأيام إلا لك حبًّا، وعليك حرصًا؛ فما إن يتم فصالك عامين، وتبدأ خطواتك الصغيرة بالثبات - إلا وترمقك بنظراتها، وتحيطك بعنايتها.

أوامرك مطاعة, وطلباتك مُجابة, تغتمُّ لحزنك، وتضيق لغضبك، تشقى لك أنت ، تتعب حتى تهنئ أنت.

فكم من دموع عنك أزالتها، وهموم عن صدرك أزاحتها, حتى إذا صلب عودك، وزهر شبابك - كنت أنت عنوان فخرها، ورمز مباهاتها، تسر بسماع أخبارك، وتسعد برؤية آثارك، إذا غبت عن عينها رافقتك دعواتها، فكم من دعوات لك تلجلجت وأنت لا تدري، وكم من ابتهالات سالَتْ معها الدموع على المآقي من أجلك وأنت لا تشعر! مناها أن يرفرف السرور في سمائك, غايتها أن توفَّق في حياتك وبناء أسرتك،

تعطيك كل شيء ولا تطلب منك أجرًا, وتبذل لك كل وسعها ولا تنتظر منك شكرًا! أحسنت إليك إحسانًا لا تَراه، وقدَّمت إليك معروفًا لن تُجازاه.

البر بالأم - عباد الله - مفخرة الرجال وشيمة الشرفاء، وقبل ذلك كله: هو خُلُقٌ من خُلُق الأنبياء؛ قال تعالى عن يحيى - عليه السلام -: **{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا}** [مريم: ١٤].

وقال عيسى - عليه السلام -: **{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}** [مريم: ٣٢].

البرُّ بالإم برهانٌ على صدق الإيمان وحسن الإسلام، وعملٌ بالتقوى.

البرُّ بالام يتأكَّد يوم يتأكد إذا ا نقضَّى شبابها، وعلا مشيبها، ورقَّ عظمها، وأحد ودب ظهرها، وارتعشت أطرافها، وزارتها أسقامها، في هذه الحال من العمر لا تنتظر صاحبة المعروف والجميل من ولدها إلا قلبًا رحيمًا، ولسانًا رقيقًا، ويدًا حنينةً.

فطوبى لمَنْ أحسن إلى أمِّه في كبرها، طوبى لمن شمَّر عن ساعد الجدِّ في رضاها؛ فلم تخرج من الدنيا إلا وهي عنه راضية مرضية.

---

[١] انظر:الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمى (٢/ ٤٠١)

يا أيها البارُّ بأمه - وكلنا نطمع أن نكون ذاك .

تمثَّل قول المولى - جل جلاله -: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } [الإسراء: ٢٤] تخلَّق بالذل بين يديها بقولك وفعلك، لا تَدْعُها باسمها؛ بل نادها بلفظ الأم؛ فهو أحبُّ إلى قلبها، لا تجلس قبلها، ولا تمشِ أمامها، قابلها بوجه طلق وابتسامة وبشاشة، تشرّف بخدمتها، وتحسس حاجاتها، إن طلبت فبادر أمرها، وإن سقمت فقُمْ عند رأسها، أَبْهِجْ خاطرها بكثرة الدعاء لها، لا تفتأ أن تدخل السرور على قلبها؛ قدم لها الهدية، وزفَّ إليها البشائر, واستشعر وأنت تقبل وتعطف على أبنائك عطف أمك وحنانها بك, وردِّد في صبحٍ ومساءٍ: {رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤].

أيها البارُّ بأمه:إن كانت غاليتك ممن قضَتْ نَحْبَها ومضت إلى ربها؛ فأكثر من الدعاء والاستغفار لها، وجدِّد برَّك بها بكثرة الصدقة عنها, وصلة أقاربك من جهتها.

جاء رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، إلى النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبويَّ شيءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: **«نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»**.[١]

وفي الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ[٢] أَبِيهِ»**.[٣]

وليعلم البار بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يف بشكرهما.

أما الأب:- فذلكم الرجل الذي لو وضع السيف بعنقه على أن تصاب أنت بأذى لما تردد في أن يفديك بنفسه، ذلكم الرجل الذي لا يفرّط في رجولته، تراه يقبل الذل أحيانًا وأحيانًا في عمله، ليجلب لك قوت يومك، ويدخل عليك وأنت صغير فيسر عند رؤيتك وكأنه ما ذاق تعبًا وما لاقى ألمًا، ولا يزال يسعى ويكدّ ويلقى كل متاعب الدنيا لأجلك، حتى تصير رجلاً مستويًا على سوقه، **فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.**

فلا تضجر إن نصحك، فهو لا يريد لك إلا الكمال، ولا تتهمه بالغباء والجهل وقصور النظر فهو أدرى بمصلحتك منك مهما أوتيت علمًا وخبرة، وإياك إياك من أن ترفع

[١] اخرجه أبي داود في سننه رقم(٥١٤٢) وضعفه الألباني.
[٢] (ودا) قال القاضي :رويناه بضم الواو وكسرها، أي : صديقا من أهل مودته وهي محبته.
[٣] أخرجه مسلم رقم (٢٥٥٢).

صوتك بحضرته أو تتردد في طاعته، وللأسف كل هذا الإحسان ينساه الأولاد في لحظة.

وصدق من قال:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعِلْتُكَ يَافِعًا ... تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ

إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ ... لِذِكْرِكَ إِلاَّ سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ

كَأَنِّي أنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تُهْمِلُ

تَخافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي ... إلَيهَا مَدَى مَا كُنتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ المُفَنَّدِ رَأَيه ... وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

تَراهُ مُعدًّا لِلْخَلافِ كَأَنَّه ... بردٍّ على أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المُجَاوِرُ يَفْعَلُ

فَأَوَلَيْتَنِي حَقَّ الجِوَارِ وَلَمْ تَكُنْ ... عَليَّ بِمَالِي دُونَ مَالَكَ تَبْخَلُ[١]

هذا هو حال الوالدين، كانا يحملانك وأنت صغير، ويعلّقان عليك الآمال والأحلام، لعلّه يكبر ويكشف به الله الغمة، فلا تنس ذلك أخي الكريم، وكن لهما عبدًا خادمًا، فإن لم تقدر على ذلك فأمسك عن أذيتهما، واعلم أن الجنة تحت أقدامهما، فقد أوصى النبي صل الله عليه وسلم أحد الصحابة فقال: (**الْزَمْ رِجْلَهَا ، فَثَمَّ الْجَنَّةُ**)[٢] .

والبر بالوالدين هو من أفضل القربات، وأحبها إلى العزيز الجبار، وهو خلق الأنبياء، ودأب الأخيار، وشيم الصالحين، وهو سبب في زيادة العمر، وسعة الرزق، وتفريج الكربات، وإجابة الدعوات، وانشراح الصدر، وطيب الحياة، وهو من أسباب بر الأبناء وصلاحهم، ودليل على صدق الإيمان، وكرم النفس، وحسن الوفاء.

كما أن العقوق جحودٌ للفضل، ونكرانٌ للجميل، ودليلٌ على الحمق والجهل، وعنوانٌ على الخسةِ والدناءةِ وحقارةِ الشأن وضعةِ النفس، كما إنه ذنب عظيم، وكبيرة من

---

[١] هذه الأبيات تنسب ليحيى بن سعيد ولابن عبد الأعلى، ولأبي العباس الأعمى، وتنسب - أيضا - لأمية بن أبي الصلت، انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/ ٣١٥)، عيون الأخبار ٣ ٧، وكشف الخفاء للعجلوني، ١ ٧.
[٢] أخرجه بن ماجه فى سننه من حديث معاوية بن حاهمة السلمى رقم (٢٧٨١) وصححه الألبانى .

الكبائر، وقرين للشرك، وموجب للعقوبة في الدنيا، وسبب لرد العمل، ودخول النار في الأخره [1].

نسأل الله عز وجل أن بجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصل اللهم على محمد النبي الأمي وعلى اله وصحبه وسلم.

***

التمهيد

البِرُّ لغة:

مِنْ مَعَانِي الْبِرِّ فِي اللُّغَةِ : الْخَيْرُ وَالْفَضْل وَالصِّدْقُ وَالطَّاعَةُ وَالصَّلاَحُ ، وقيل: الصِّلَةُ والجَنَّةُ والخَيْرُ والا تِّساعُ في الإ حْسانِ [2].

وَفِي الاِصْطِلاَحِ :-

يُطْلَقُ فِي الأْغْلَبِ عَلَى الإْحْسَانِ بِالْقَوْل اللَّيِّنِ اللَّطِيفِ الدَّال عَلَى الرِّفْق وَالْمَحَبَّةِ ، وَتَجَنُّبِ غَلِيظِ الْقَوْل الْمُوجِبِ لِلنُّفْرَةِ ، وَاقْتِرَانِ ذَلِكَ بِالشَّفَقَةِ وَالْعَطْفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالإْحْسَانِ بِالْمَال وَغَيْرِهِ مِنَ الأْفْعَال الصَّالِحَاتِ [3].

والعقوق ضد البر، قال ابن منظور: «وعق والده يعقه عقا؛ وعقوقا ومعقة: شق عصا

---

[1] انظر نقل من كتاب: عقوق الوالدين، للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، ص: ١٠-١١ بتصرف .

[2] انظر : القاموس المحيط٤٤٤ باب "الباء" ، الصحاح مادة " برر ".

[3] انظر:الفواكه الدواني على رسالة القيرواني ٢ / ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

طاعته، وعق والديه قطعهما ،ولم يصل رحمه منهما »[1].

هَذَا قَوْل أَهْل اللُّغَة ، وَأَمَّا حَقِيقَة الْعُقُوق الْمُحَرَّم شَرْعًا فَقَلَّ مَنْ ضَبَطَهُ [2].

***

المبحث الاول

إِنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمَ الرَّجُل وَالِدَيْهِ:-

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ» [3].

قال صاحب المفهم في الشرح وقوله : **"مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمَ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ "** يعني : مِنْ أكبرِ الكبائر ؛ لأنَّ شتم المسلم الذي ليس بِأَبٍ كبيرةٌ ، فشتمُ الآباءِ أكبَرُ منه.
وقوله : **هَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟!** استفهامُ إنكارٍ واستبعادٍ لوقوع ذلك مِنْ أحدٍ من الناس ، وهو دليلٌ على ما كانوا عليه من المبالغة في بِرِّ الوالدين ، ومِن الملازمةِ لمكارمِ الأخلاق والآداب[4].
وقال الشيخ محمد حسان حفظه الله : في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمَ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ)** -لا أن يقتل الرجل والديه- فقال الصحابة: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟! -الصحابة في مجتمع الطهر استغربوا أن يشتم الرجل والديه- فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: **« نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »** إن شتمت أبا رجل شتم أباك، فتكون قد شتمت أنت أباك، وإن شتمت أمه شتم الرجل أمك، فتكون قد شتمت أمك؛ فالعقوق من أكبر الكبائر والعياذ بالله! أيها الأبناء! العقوق سبب للحرمان من الجنة،سبب للطرد من رحمة الله الذي وسعت رحمته كل شيء.

وفي الحديث الذي رواه النسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: **الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ،** وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ " [5].

---

[1] انظر: لسان العرب لابن منظور(٢٥٦/١٠).
[2] انظر : شرح النووي على مسلم ص١٨٩.
[3] أخرجه مسلم رقم (٩٠).
[4] انظر :المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٧/٢).
[5] أخرجه النسائي رقم (٢٥٦٢) وحسنه الألباني.

وتدبروا -أيها الأبناء! وتدبروا أيها الآباء! - هذا الحديث العظيم؛ فإن هؤلاء قد خابوا والله! وخسروا؛ لأنهم طردوا من رحمة الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء: **« ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، قيل: من هم يا رسول الله؟! قال: **(الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ وَالدَّيُّوثُ)**. والمرأة المترجلة أي: المرأة المتشبهة بالرجال، وكم من امرأة تنتسب إلى الإسلام تتشبه في زيها، وفي مشيتها، وفي كلامها، وفي طريقة معاملتها بالرجال! بل وهي تشعر بلذة حين تتشبه بالرجال، والديوث هو: الذي يقر الزنا والفسق في أهله والعياذ بالله![1].

***

المبحث الثاني

قَوْلَهُ تَعَالَى: **{فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ }** [الإسراء: ٢٣] قال ابن جرير: فَلَا تُؤَفِّفْ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ مِنْ أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْهُمَا مِمَّا يَتَأَذَّى بِهِ النَّاسُ، وَلَكِنِ اصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمَا، وَاحْتَسِبْ فِي الْأَجْرِ صَبْرَكَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا، كَمَا صَبَرَا عَلَيْكَ فِي صِغَرِكَ.[2]

وقَوْلَهُ تَعَالَى: **{فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ }** قال القرطبى أَيْ : لَا تَقُلْ لَهُمَا مَا يَكُونُ فِيهِ أَدْنَى تَبَرُّمٍ، وَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ قَالَ: الْأُفُّ الْكَلَامُ الْقَذِعُ الرَّدِيءُ الْخَفِيُّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمَا فِي حَالِ الشَّيْخِ الْغَائِطَ وَالْبَوْلَ الَّذِي رَأَيَاهُ مِنْكَ فِي الصِّغَرِ فَلَا تَقْذَرْهُمَا وَتَقُولَ أُفٍّ. وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ هَذَا.

وَالْأُفُّ وَالتُّفُّ وَسَخُ الْأَظْفَارِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا يُضْجِرُ وَيُسْتَثْقَلُ: أُفٍّ لَهُ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: والتف أيضا الشيء الحقير. وقرىء: **{أُفٍّ}**منونا مَخْفُوضٌ، كَمَا تُخْفَضُ الْأَصْوَاتُ وَتُنَوَّنُ، تَقُولُ: صَهٍ وَمَهٍ. وَفِيهِ عَشْرُ لُغَاتٍ: أُفَّ، وَأُفُّ، وَأُفِّ، وأفا وَأُفٌّ، وَأُفَّهْ، وَإِفْ لَكَ (بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ)، وَأُفْ (بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَتَسْكِينِ الْفَاءِ)، وَأُفًا (مُخَفَّفَةَ الْفَاءِ).

وَفِي الْحَدِيثِ:" فَأَلْقَى طَرَفَ ثَوْبِهِ عَلَى أَنْفِهِ ثُمَّ قَالَ أُفٍّ أُفٍّ".[3]

---

[1] دروس للشيخ محمد حسان -حفظه الله-.
[2] انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٥٤٥.
[3] الذى أخرجه الأصلهانى فى الترغيب والترهيب٣/١٣٧.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَعْنَاهُ اسْتِقْذَارٌ لِمَا شَمَّ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى أف الاحتقار والاستقلال، أخذ من الاف وَهُوَ الْقَلِيلُ.

وَقَالَ الْقُتَبِيُّ: أَصْلُهُ نَفْخُكَ الشَّيْءَ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْ رَمَادٍ وَتُرَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وللمكان تريد إماطة شي لِتَقْعُدَ فِيهِ، فَقِيلَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لِكُلِّ مُسْتَثْقَلٍ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ: الْأُفُّ وَسَخٌ بَيْنَ الْأَظْفَارِ، وَالتُّفُّ قُلَامَتُهَا.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى أُفٍّ النَّتْنُ.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْأُفُّ وَسَخُ الْأُذُنِ، وَالتُّفُّ وَسَخُ الْأَظْفَارِ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى ذُكِرَ فِي كُلِّ مَا يُتَأَذَّى بِهِ. وَرُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ جَدِّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ عَلِمَ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ الْعُقُوقِ أَدْنَى مِنْ أُفٍّ لَنَهَى عَنْ ذَلِكَ، فَلْيَعْمَلِ الْعَاقُّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ، فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلْيَعْمَلِ الْبَارُّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ».[١]

وَقَالَ :لَوْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حُرْمَةَ الْوَالِدَيْنِ وَلَمْ يُوصِ بِهِمَا، لَكَانَ يُعْرَفُ بِالْعَقْلِ أَنَّ حُرْمَتَهَا وَاجِبَةٌ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ حُرْمَتَهُمَا، وَيَقْضِيَ حَقَّهُمَا، فَكَيْفَ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ كُتُبِهِ، فِي التَّوْرَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْفُرْقَانِ، وَقَدْ أَمَرَ فِي جَمِيعِ كُتُبِهِ وَأَوْحَى إِلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصَاهُمْ بِحُرْمَةِ الْوَالِدَيْنِ وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِمَا، وَجَعَلَ رِضَاهُ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطَهُ فِي سَخَطِهِمَا.

وَيُقَالُ ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثٍ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ بِغَيْرِ قَرِينَتِهَا، أَوَّلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٤٣] ، فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يُؤَدِّ الزَّكَاةَ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ.

وَالثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [النساء: ٥٩] ، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَلَمْ يُطِعِ الرَّسُولَ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.

وَالثَّالِثُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} [لقمان: ١٤] ، فَمَنْ شَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يَشْكُرْ لِوَالِدَيْهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.[٢]

وقَالَ الْعُلَمَاءِ: وَإِنَّمَا صَارَتْ قولة" أف" للأبوين أردأ شي لِأَنَّهُ رَفَضَهُمَا رَفْضَ كُفْرِ النِّعْمَةِ، وَجَحَدَ التَّرْبِيَةَ ورد الوصية التي أوصاه في التنزيل، و" أف" كلمة مقولة لكل شي مَرْفُوضٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ:{ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء: ٦٧] أَيْ: رَفْضٌ لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْأَصْنَامِ مَعَكُمْ.

---

[١] لحديث أورده القرطبي في تفسير قوله -تعالى-: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} سورة الأحزاب آية ٢٣ جـ ١٠ ص ٢٤٣).

[٢] انظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص١٢٤).

وَقَوْلُهُ: **{أُفٍّ لَكُمْ}** [الأنبياء: ٦٧] قال ابن جرير أي: قُبْحًا لَكُمْ وَلِلْآلِهَةِ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ قُبْحَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمْ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَتَتْرُكُوا عِبَادَتَهُ، وَتَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ؟.[١]

وقال الشيخ الشعراوى -رحمه الله-:ومعلومة أنه سبحانه إذا نهانا عن هذه فقط نهانا عن غيرها من باب أَوْلى ، وما دامتْ هي أقلّ لفظة يمكن أنْ تُقال إذن : نهانا عن القول وعن الفعل أيضاً .

ثم أكّد هذا التوجيه بقوله : **{ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا }** [الإسراء : ٢٣] والنهر: هو الزَّجْر بقسوة ، وهو انفعال تَالٍ للتضجُّر وأشدّ منه قسوة ، وكثيراً ما نرى مثل هذه المواقف في الحياة ، فلو تصوَّرنا الإبن يعطي والده كوباً من الشاي مثلاً فارتعشت يده فأوقع الكوب فوق سجادة ولده الفاخرة ، وسريعاً ما يتأفّف الإبن لما حدث لسجادته ، ثم يقول للوالد من عبارات التأنيب ما يؤلمه ويجرح مشاعره .

إذن : كُنْ على حذر من التأفف ، ومن أن تنهر والديك ، كُنْ على حذر من هذه الألفاظ التي تسبق إلى اللسان دون فِكْر ، ودون تعقّل .

وفي هذا المقام تُرْوَى قصة الشاب الذي أوقع أبوه إناء الطعام على ثيابه ، فأخذ الولد البار يلعق الطعام الذي وقع على ثوبه وهو يقول لوالده : أطعمك الله كما أطعمتني ، فحوّل الإساءة إلى جميل يُحمَد عليه .

والآخر الذي ذهب يتمرّغ تحت أقدام أمه ، فقالت له : كفى يا بني ، فقال : إنْ كنتِ تُحبِّينني حقاً فلا تمنعيني من عمل يُدخِلني الجنة .

والقول الكريم هنا نوع من التصرُّف واللباقة في معاملة الوالدين خاصة حال الشيخوخة التي قد تُقعِد صاحبها ، أو المرض الذي يحتاج إلى مساعدة الغير ، والأولاد هم أَوْلَى الناس بإعالة الوالدين في هذه الظروف ، حيث سيبدو من الإنسان مَا لا يصح الإطلاع عليه إلا لأولاده وأقرب الناس إليه .

وَهَبْ أن الوالد المريض أو الذي بلغ من الكِبَر عتياً يريد أنْ يقضي حاجته ، ويحتاج لمن يحمله ويُقعِده ويُريحه ، وينبغي هنا أن يقول الابن لأبيه : هَوِّن عليك يا والدي ، وأعطني فرصة أردّ لك بعض جميلك عليّ ، فلكَمْ فعلتَ معي أكثر من هذا .

وهو مع ذلك يكون مُحبّاً لوالده ، رفيقاً به ، حانياً عليه لا يتبرّم به ، ولا يتضجر منه ، هذا هو القول الكريم الذي ينتقيه الأبناء في المواقف المختلفة .

---

[١] انظر:تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٢).

فمثلاً : قد يزورك أبوك في بيتك وقد يحدث منه أنْ يكسر شيئاً من لوازم البيت ، فتقول له في هذا الموقف : فِدَاك يا والدي ، أو تقول : لا عليك لقد كنت أفكر في شراء واحدة أحدث منها ، أو غيره من القول الكريم الذي يحفظ للوالدين كرامتهما ، ولا يجرح شعورهما [1] .

ثم بعد أن هذا النهي المؤكد يأتي أمر جديد ليؤكد النهي السابق فقال تَعالَى : **{ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }** [الإسراء : ٢٣] أي: وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا جَمِيلًا حَسَنًا.[2]

قال القرطبي قوله: {وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً} أَيْ: لَيِّنًا لَطِيفًا، مِثْلَ: يَا أَبَتَاهُ وَيَا أُمَّاهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَمِّيَهُمَا وَيُكَنِّيَهُمَا.

وَقَالَ ابْنُ الْبَدَّاحِ[3] التُّجِيبِيُّ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ قَدْ عَرَفْتُهُ إِلَّا قَوْلَهُ: {وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً} مَا هَذَا الْقَوْلُ الْكَرِيمُ؟ قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: قَوْلُ العبد المذنب السيد الْفَظِّ الْغَلِيظِ.[4]

وقوله تَعَالَى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ } [الإسراء: ٢٤] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكُنْ لَهُمَا ذَلِيلًا رَحْمَةً مِنْكَ بِهِمَا تُطِيعُهُمَا فِيمَا أَمَرَاكَ بِهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مَعْصِيَةً، وَلَا تُخَالِفْهُمَا فِيمَا أَحَبَّا.[5]

وهذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة، كما أشار إليه سعيد بن المسيب[6].

وضرب خفض الجناح ونصبه مثلا لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده.

قال الشيخ الشعراوى فى تفسيره :الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويُرفْرِف به ، إنْ أراد أن يطير ، ويخفضه إنْ أراد أن يحنوَ على صغاره ، ويحتضنهم ويغذيهم .

وهذه صورة مُحسَّة لنا ، يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي بها ، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة ، فنحنو عليهم ، ونخفض لهم الجناح ، كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما ، وإياك أن تكون كالطائر الذي يرفع جناحيه ليطير بهما مُتعالياً على غيره .

---

[1] انظر:تفسير الشعراوي (ص: ٥١٥٥).

[2] انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٥٤٨.
[3] وعند الطبري عَنْ أَبِي الْهَدَّاجِ.
[4] انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٣).
[5] انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٥٥٣.
[6] انظر :تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٣)

وكثيراً ما يُعطينا الشرع الحكيم أمثلة ونماذج للرأفة والرحمة في الطيور ، ويجعلها قدوة لنا بني البشر .

والذي يرى الطائر يحتضن صغاره تحت جناحه ، ويزقّهم الغذاء يرى عجباً ، فالصغار لا يقدرون على مضغ الطعام وتكسيره ، وليس لديهم اللعاب الذي يساعدهم على أنْ يزدردوا الطعام فيقوم الوالدان بهذه المهمة ثم يناولانهم غذاءهم جاهزاً يسهل بَلْعه ، وإنْ تيسر لك رؤية هذا المنظر فسوف ترى الطائر وفراخه يتراصون فرحة وسعادة [1].

(والذل): هو اللين، فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب[2].

وقال الشيخ الشعراوى -رحمه الله-:الذلّة هنا ذِلّة تواضع ورحمة بالوالدين ، ولكن رحمتك أنت لا تكفي ، فعليك أن تطلب لهما الرحمة الكبرى من الله تعالى : **{ وَقُل رَّبِّ ارحمهما كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}**[الإسراء : ٢٤] لأن رحمتك بهما لا تَفي بما قدّموه لك ، ولا ترد لهما الجميل ، وليس البادئ كالمكافئ ، فهم أحسنوا إليك بداية وأنت أحسنتَ إليهما ردّاً؛ لذلك ادْعُ الله أنْ يرحمهما ، وأنْ يتكفل سبحانه عنك برد الجميل ، وأن يرحمهما رحمة تكافئ إحسانهما إليك .

وقوله تعالى : **{ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }** [الإسراء : ٢٤] كما : قد تفيد التشبيه ، فيكون المعنى : ارحمهما رحمة مثل رحمتهما بي حين ربياني صغيراً ، أو تفيد التعليل : أي: ارحمهما لأنهما ربياني صغيراً ، كما قال تعالى :**{ واذكروه كَمَا هَدَاكُمْ }**[البقرة : ١٩٨].

و قوله تعالى :**{ رَبَّيَانِي }** هذه الكلمة أدخلت كل مُربٍّ للإنسان في هذا الحكم ، وإنْ لم يكُنْ من الوالدين ، لأن الولد قد يُربّيه غير والديه لأيِّ ظرف من الظروف ، والحكم يدور مع العلة وجوداً وعَدماً ، فإنْ ربّاك غير والديك فلهما ما للوالدين من البرِّ والإحسان وحُسْن المعاملة والدعاء .

وهذه بشرى لمن رَبَّى غير ولده ، ولاسيما إنْ كان المربَّى يتيماً ، أو في حكم اليتيم .

وفي قوله : **{ رَبَّيَانِي صَغِيراً }** [الإسراء : ٢٤] اعتراف من الابن بما للوالدين من فضل عليه وجميل يستحق الرد .

---

[1] انظر:تفسير الشعراوي (ص: ٥١٥٧)

[2] انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٣)

وبعد ذلك يأتي الحق سبحانه في تذييل هذا الحكم بقضية تشترك فيها معاملة الابن لأبويه مع معاملته لربه عز وجل ، فقال تعالى : **{ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً }** [الإسراء : ٢٥][١].

فَاحْذَرُوا أَنْ تُضْمِرُوا لَهُمْ سُوءًا، وَتَعْقُدُوا لَهُمْ عُقُوقًا،أي: إن المطلوب من الولد هو البر ظاهرا وباطنا، حقيقة وفعلا، لا رياء ومجاملة ظاهرية، والعبرة بما في القلب من الإخلاص في الطاعة، لأن الله مطّلع على ما في النفوس، وهو سبحانه أعلم بأحوال الولد في البر، والوعد للأولاد بغفران الذنوب في حال البر: مشروط بشرط الصلاح والرجوع (أو الأوبة) إلى طاعة الله، فإنه سبحانه كثير المغفرة للتائبين الراجعين إلى الخير، العادلين عن المعصية إلى الطاعة، وإلى ما يحبه الله ويرضاه، والمقصود من الآية: التحذير من ترك الإخلاص[٢].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل، إنه ولى ذلك والقادر عليه وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

***

المبحث الثالث

بِمَ يَكُونُ الْبِرُّ:-

قالَ تَعَالَى : **{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }** [النساء: ٣٦] أي : وَذِلُّوا لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ , وَاخْضَعُوا لَهُ بِهَا , وَأَفْرِدُوهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ , وَأَخْلِصُوا لَهُ الْخُضُوعَ وَالذِّلَّةَ , بِالِانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِهِ , وَالِانْزِجَارِ عَنْ نَهْيِهِ , وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ شَرِيكًا تُعَظِّمُونَهُ تَعْظِيمَكُمْ إِيَّاهُ. {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} يَقُولُ: وَأَمَرَكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا , يَعْنِي بِرًّا بِهِمَا؛ وَلِذَلِكَ نَصَبَ الْإِحْسَانَ , لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِلُزُومِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَجْهِ الْإِغْرَاءِ.

---

[١] تفسير الشعراوي (ص: ٥١٥٨).

[٢] انظر : التفسير الوسيط للزحيلي٢/١٣٣٩).

قَال ابْنُ عَبَّاسٍ فى تفسير هذه الآية : يُرِيدُ الْبِرَّ بِهِمَا مَعَ اللُّطْفِ وَلِينِ الْجَانِبِ ، فَلاَ يُغْلِظُ لَهُمَا فِي الْجَوَابِ ، وَلاَ يُحِدُّ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا ، وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَيْهِمَا ، بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدى سيده تذللا لهما[1].

ويَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْن بِالإْحْسَانِ إِلَيْهِمَا بِالْقَوْل اللَّيِّنِ الدَّال عَلَى الرِّفْق بِهِمَا وَالْمَحَبَّةِ لَهُمَا ، وَتَجَنُّبِ غَلِيظِ الْقَوْل الْمُوجِبِ لِنُفْرَتِهِمَا ، وَبِمُنَادَاتِهِمَا بِأَحَبِّ الأْلْفَاظِ إِلَيْهِمَا ، كَيَا أُمِّي وَيَا أَبِي ، وَلْيَقُل لَهُمَا مَا يَنْفَعُهُمَا فِي أَمْرِ دِينِهِمَا وَدُنْيَاهُمَا ، وَيُعَلِّمْهُمَا مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمَا ، وَلْيُعَاشِرْهُمَا بِالْمَعْرُوفِ[2] .

وَيُطِيعُهُمَا فِي فِعْل جَمِيعِ مَا يَأْمُرَانِهِ بِهِ ، مِنْ وَاجِبٍ أَوْ مَنْدُوبٍ ، وَفِي تَرْكِ مَا لاَ ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي تَرْكِهِ ، وَلاَ يُحَاذِيهِمَا فِي الْمَشْيِ ، فَضْلاً عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمَا ، إِلاَّ لِضَرُورَةٍ نَحْوِ ظَلاَمٍ وخلافه ، وَإِذَا دَخَل عَلَيْهِمَا لاَ يَجْلِسُ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا ، وَإِذَا قَعَدَ لاَ يَقُومُ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا ، وَلاَ يَسْتَقْبِحُ مِنْهُمَا نَحْوَ الْبَوْل عِنْدَ كِبَرِهِمَا أَوْ مَرَضِهِمَا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَذِيَّتِهِمَا ، وَمِنَ الْبِرِّ بِهِمَا وَالإْحْسَانِ إِلَيْهِا : أَلاَّ يُسِيءَ إِلَيْهِمَا بِسَبٍّ أَوْ شَتْمٍ أَوْ إِيذَاءٍ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ بِلاَ خِلاَفٍ .

وصدق من قال:

أَطِعِ الإِلَهَ كَمَا أَمَرْ ... وَامْلأْ فُؤادَكَ بِالحَذَرْ
وَأَطِعْ أَبَاكَ فَإِنَّهُ ... رَبَّاكَ فِي عَهْدِ الصِّغَرْ
وَاخْضَعْ لأُمِّكَ وَارْضِهَا ... فَعُقُوقُهَا إِحْدَى الكُبَرْ

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: ألا تقوم إلى خدمتها وأنت كسلان، وقيل: ألا ترفع صوتك عليها ولا تنظر إليها شزرا ،ولا يريا منك مخالفة في ظاهر أو باطن ،وأن تترحم عليهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقومَ بخدمة أوِدّائِهما من بعدهما[3].

والإحسان للوالدين من الوصايا العشر التي ذكرت في سورة الأنعام في قوله تعالى:**{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }** [الأنعام :١٥١].**وهو من المواثيق التي أخذها الله على بني إسرائيل** لقوله تعالى: **{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }** [البقرة: ٨٣].قال قتادة: ميثاق أخذه الله على بني إسرائيل فاسمعوا على ما أخذ ميثاق القوم[4].

---

[1] انظر روح المعانى للألوسي(٤/٢٩٧).
[2] انظر الخلاصه فى شرح الخمسين الشامية ل على بن نايف الشحود ص٢٦٦.
[3] انظر : تفسير ابو السعود٤/١٨٦).
[4] انظر:الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١/ ٤٥٢)

{بر الوالدين من أفضل الأعمال بعد الصلاة }

كما في الصحيح من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا»** قَالَ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ **قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْن »** قَالَ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ **قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**[١] .

{بر الوالدين مقدمٌ على الجهاد في سبيل اللہ}

كما في الصحيح من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: **«أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ **«فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»**[٢].

وعَنْد الإمام أحمد بسنده عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ايضا: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُ أَبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَايَّ يَبْكِيَانِ قَالَ**:«ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»**[٣].

قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين، لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد بالنفير من الإمام فلا إذن، لقوله: **«فإذا استنفرتم فانفروا»**[٤].

وبر الوالدين سبب في استجابة الدعاء وتفريج الكربات:-

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: **«بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ[٥] فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ،[٦] حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ[٧] فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ**

---

[١] أخرجه مسلم رقم (٨٥).

[٢] اخرجه البخاري برقم (٣٠٠٤) .

[٣] أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٦٤٩٠) وصححه الألبانى.

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢٤٠/١٠) بتصرف .

[٥] (غار) الغار الثقب في الجبل.

[٦] (فإذا أرحت عليهم) أي إذا رددت الماشية من المرعى إليهم وإلى موضع مبيتها.

[٧] (نأى بي ذات يوم الشجر) وفي بعض النسخ ناء بي وهما لغتان وقراءتان ومعناه بعد والنأي البعد.

بِالْحِلاَبِ[1] فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[2] عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي[3] وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذالِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَّجَ اللّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ....»[4].

قال النووي فى الشرح: اِسْتَدَلَّ أَصْحَابنَا بِهَذَا عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ فِي حَال كَرْبه ، وَفِي دُعَاء الِاسْتِسْقَاء وَغَيْره بِصَالِحِ عَمَله ، وَيَتَوَسَّل إِلَى اللَّه تَعَالَى بِهِ ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ فَعَلُوهُ فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ ، وَذَكَرَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْرِض الثَّنَاء عَلَيْهِمْ ، وَجَمِيل فَضَائِلهمْ .

وَفِي هَذَا الْحَدِيث فَضْل بِرّ الْوَالِدَيْنِ وَفَضْل خِدْمَتهمَا وَإِيثَارهمَا عَمَّنْ سِوَاهُمَا مِنْ الْأَوْلَاد وَالزَّوْجَة وَغَيْرهمْ .

وبر الوالدين سبب في مد العمر وزيادة الرزق:-

أخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ سَرَه أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُزَادُ لَهُ فِي رزقِهِ، فَلْيَبَرَّ والِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**[5].

معنى الزيادة في العمر البركة فيه والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك،وقيل: بقاء ذكره الجميل بعد موته فكأنه لم يمت[6].

وبر الوالدين سبب في دخول الجنة من أفضل أبوابها:-

اخرج الترمذى في سننه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوْ احْفَظْهُ»[7].

قَالَ الْقَاضِي فى التحفة أَيْ: خَيْرُ الْأَبْوَابِ وَأَعْلَاهَا ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ أَحْسَنَ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ وَيُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى وُصُولِ دَرَجَتِهَا الْعَالِيَةِ مُطَاوَعَةُ الْوَالِدِ وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ ،

---

[1] (بالحلاب) الإناء الذي يحلب فيه يسع حلبة ناقة ويقال له المحلب قال القاضي وقد يريد بالحلاب اللبن المحلوب.

[2] (يتضاغون) أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

[3] (فلم يزل ذلك دأبي) أي حالي اللازمة.

[4] اخرجه مسلمبرقم :(٢٧٤٣).

[5] اخرجه أحمد فى مسنده رقم١٣٤٢٥ج٣ص٢٢٩ وحسنه الألبانى

[6] انظر: كتاب ان الله كتب الإحسان للدكتور فالح ص٤٧.

[7] اخرجه الترمذى ج٤/٣١١ وصححه الألبانى

وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا وَأَحْسَنُهَا دُخُولًا أَوْسَطُهَا ، وَإِنَّ سَبَبَ دُخُولِ ذَلِكَ الْبَابِ الْأَوْسَطِ هُوَ مُحَافَظَةُ حُقُوقِ الْوَالِدِ اِنْتَهَى[1] .

والْمُرَادُ بِالْوَالِدِ الْجِنْسُ ، أَوْ إِذَا كَانَ حُكْمُ الْوَالِدِ هَذَا فَحُكْمُ الْوَالِدَةِ أَقْوَى وَبِالِاعْتِبَارِ أَوْلَى.

وأن رضا الوالدين سبب رضا الرب وسخطهما سبب في سخط الرب:-

أخرج الترمذي في سننه بسنده عن عبدِ الله بنِ عَمْرٍو عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «**رِضاَ الرَّبِّ في رِضا الْوَالِدِ وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الْوَالِدِ**»[2] .

وبر الوالدين سبب في بر الأبناء:-

أخرج الحاكم في مستدركه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ؛ وَبَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ** »[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَمِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ بَعْدَهَا.

وَمِنْ بِرِّهِمَا صِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا:-

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ أَلَسْتَ ابْنَ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ قَالَ بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ وَقَالَ ارْكَبْ هَذَا ،وَالْعِمَامَةَ - قَالَ - اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِىَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ؛ وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « **إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّىَ** »، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ[4].

قال بن عثيمين -رحمه الله - :وفي هذا الحديث دليل على امتثال الصحابة ورغبتهم في الخير ومسارعتهم إليه لأن ابن عمر استفاد من هذا الحديث فائدة عظيمة ، فإنه فعل هذا الإكرام بهذا الأعرابي من أجل أن أباه كان صديقا لعمر، فما ظنك لو رأي الرجل الذي كان صديقا لعمر لأكرمه أكثر وأكثر.

فيستفاد من هذا الحديث أنه إذا كان لأبيك أو أمك أحد بينهم وبينه ود فأكرمه، كذلك إذا كان هناك نسوة صديقات لأمك فأكرم هؤلاء النسوة ،وإذا كان رجال أصدقاء لأبيك

---

[1] انظر : تحفة الأحوذى، باب ما جاء من الفضل فى بر الوالدين ج٥ص١١٩.

[2] اخرجه الترمذي رقم :(١٨٩٩)، وصححه الشيخ الألباني،

[3] أخرج الحاكم في المستدرك برقم :(٧٢٥٨) وضعفه الألباني.

[4] اخرجه مسلم رقم(٦٦٧٩)باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم.

فأكرم هؤلاء الرجال فإن هذا من البر، وفي هذا الحديث أيضا سعة رحمة الله عز وجل حيث إن البر بابه واسع لا يختص بالوالد والأم فقط، بل حتى أصدقاء الوالد وأصدقاء الأم إذا أحسنت إليهم فإنما بررت والديك فتثاب ثواب البار بوالديه، وهذه من نعمة الله عز وجل أن وسع على عباده أبواب الخير وكثّرها لهم حتى يلجوا فيها من كل جانب.

وَكَانَ - صلى الله عليه وسلم - يُهْدِي لِصَدَائِقِ خَدِيجَةَ بِرًّا بِهَا وَوَفَاءً لَهَا، وَهِيَ زَوْجَتُهُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْوَالِدَيْنِ [1] .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا والمسلمين من البررة إنه جواد كريم وصل الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[2].

***

المبحث الثالث

تَقْدِيم بِرِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا:-

اخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عَنْ حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ، قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ، كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، قَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ[3]، قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ، قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ، قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ، قَالَ فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ، قَالَ فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلَاهُ [4] .

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٢٤١).
[2] انظر :شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (ص: ٣٩٦)

[3] (المومسات) أي الزواني البغايا المتجاهرات بذلك والواحدة مومسة.
[4] اخرج مسلم رقم (٦٦٧٢).

من عبر القصة:

١-عِظَم بِرّ الْوَالِدَيْنِ وَإِجَابَة دُعَائِهِمَا وَلَوْ كَانَ الْوَلَد مَعْذُورًا ؛ لَكِنْ يَخْتَلِف الْحَال فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ الْمَقَاصِد.

٢- تَأَكُّد حَقّ الْأُمّ ، وَأَنَّ دُعَاءَهَا مُجَاب .

٣- إِيثَار إِجَابَة الْأُمّ عَلَى صَلَاة التَّطَوُّع ؛ لِأَنَّ الِاسْتِمْرَار فِيهَا نَافِلَة؛ وَإِجَابَة الْأُمّ وَبِرّهَا وَاجِب .

٤-إِذَا تَعَارَضَتْ الْأُمُور بُدِئَ بِأَهَمِّهَا .

٥- يَجْعَل اللَّه تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ مَخَارِج عِنْد اِبْتِلَائِهِمْ بِالشَّدَائِدِ غَالِبًا مصداقا لقوله تَعالَى: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}** [الطلاق: ٢] إِنَّمَا يَتَأَخَّر ذَلِكَ عَنْ بَعْضهمْ فِي بَعْض الْأَوْقَات تَهْذِيبًا وَزِيَادَة لَهُمْ فِي الثَّوَاب .

٨- إِثْبَات كَرَامَات الْأَوْلِيَاء ، وَهُوَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة.

٩- الرِّفْق بِالتَّابِعِ إِذَا جَرَى مِنْهُ مَا يَقْتَضِي التَّأْدِيب ؛ لِأَنَّ أُمّ جُرَيْج مَعَ غَضَبهَا مِنْهُ لَمْ تَدْعُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمَا دَعَتْ بِهِ خَاصَّة ، وَلَوْلَا طَلَبهَا الرِّفْق بِهِ لَدَعَتْ عَلَيْهِ بِوُقُوعِ الْفَاحِشَة أَوْ الْقَتْل .

١٠- صَاحِب الصِّدْق مَعَ اللهِ لَا تَضُرّهُ الْفِتَن .

١١- قُوَّة يَقِين جُرَيْج وَصِحَّة رَجَائِهِ ، لِأَنَّهُ اِسْتَنْطَقَ الْمَوْلُود مَعَ كَوْن الْعَادَة أَنَّهُ لَا يَنْطِق ؛ وَلَوْلَا صِحَّة رَجَائِهِ بِنُطْقِهِ مَا اِسْتَنْطَقَهُ .

١٢- جَوَاز الْأَخْذ بِالْأَشَدِّ فِي الْعِبَادَة لِمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسه قُوَّة عَلَى ذَلِكَ .

١٣- الْمَفْزَع فِي الْأُمُور الْمُهِمَّة إِلَى اللهِ يَكُون بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاة [١] .

تقديم الأمِّ فى البر:-

وَنَظَرًا لِقِيَامِ الأمِّ بِالْعِبْءِ الأكْبَرِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ اخْتَصَّهَا الشَّارِعُ بِمَزِيدٍ مِنَ الْبِرِّ ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِبِرِّهِمَا ، فَقَالَ تَعَالَى : **{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}**[لقمان : ١٤] .

---

[١] انظر: دروس وعبر من صحيح القصص النبوي (ص: ٣٢) جمع شحاته صقر

ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ[1] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟[2] قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»** [3] .

وأخرج البخارى فى الأدب عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : **إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ**[4] .

ومِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : سَأَلْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - : أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ ؟ **قَالَ : زَوْجُهَا** ، قُلْتُ : فَعَلَى الرَّجُلِ ؟ **قَالَ أُمُّهُ** [5] .

فَفِيمَا ذُكِرَ - وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ - مِمَّا سَبَقَ بَيَانُهُ دَلِيلٌ عَلَى مَنْزِلَةِ الأَبَوَيْنِ ، وَتَقْدِيمِ الأُمِّ فِي الْبِرِّ عَلَى الأَبِ فِي ذَلِكَ ؛ لِصُعُوبَةِ الْحَمْلِ ، ثُمَّ الْوَضْعِ وَآلاَمِهِ ، ثُمَّ الرَّضَاعِ وَمَتَاعِبِهِ ، وَهَذِهِ أُمُورٌ تَنْفَرِدُ بِهَا الأُمُّ وَتَشْقَى بِهَا ، ثُمَّ تُشَارِكُ الأَبَ فِي التَّرْبِيَةِ ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ الأُمَّ أَحْوَجُ إِلَى الرِّعَايَةِ مِنَ الأَبِ وَلاَ سِيَّمَا حَالَ الْكِبَرِ .

وَفِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَقِّ أَيْضًا : أَنَّهُ لَوْ وَجَبَتِ النَّفَقَةُ عَلَى الْوَلَدِ لأَبَوَيْهِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ إِلاَّ عَلَى نَفَقَةِ أَحَدِهِمَا ، فَتُقَدَّمُ الأُمُّ عَلَى الأَبِ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ ، وَهُوَ رَأْيٌ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ ،وَذَلِكَ لِمَا لَهَا مِنْ مَشَقَّةِ الْحَمْلِ وَالرَّضَاعِ وَالتَّرْبِيَةِ وَزِيَادَةِ الشَّفَقَةِ ، وَأَنَّهَا أَضْعَفُ وَأَعْجَزُ ،هَذَا مَا لَمْ يَتَعَارَضَا فِي بِرِّهِمَا.

فَإِنْ تَعَارَضَا فِيهِ ، بِأَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ أَحَدِهِمَا مَعْصِيَةُ الآخَرِ ، فَإِنَّهُ يُنْظَرُ : إِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِطَاعَةٍ وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُطِيعَ الآمِرَ بِالطَّاعَةِ مِنْهُمَا دُونَ الآمِرِ بِالْمَعْصِيَةِ ، فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ .

لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : **{الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ}** [6] .

وَعَلَيْهِ أَنْ يُصَاحِبَهُ بِالْمَعْرُوفِ لِلأَمْرِ بِذَلِكَ قَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ نَزَلَتْ فِيَّ: **{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}**

---

[1] (رجل) هو معاوية بن حيدة جد بهز بن حكيم رضي الله عنه.

[2] (أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي) أولى الناس بمعروفي وبري ومصاحبتي المقرونة بلين الجانب وطيب الخلق وحسن المعاشرة.

[3] أخرجه البخارى رقم(٥٩٧١) واللفظ له ،ومسلم رقم (٢٥٤٨).

[4] اخرجه البخارى فى الأدب ص٣٥)،وصححه الألباني.

[5] أخرجه الحاكم برقم (٧٢٤٤) وقال الحافظ فى " الفتح " ١٠ / ٤٠٢ :: هذا إسناد حسن.

[6] أخرجه البخاري رقم(٤٣٤٠) من حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[لقمان: ١٥] قَالَ: لَمَّا أَسْلَمْتُ، حَلَفَتْ أُمِّي لَا تَأْكُلُ طَعَامًا وَلَا تَشْرَبُ شَرَابًا، قَالَ: فَنَاشَدْتُهَا أَوَّلَ يَوْمٍ، فَأَبَتْ وَصَبَرَتْ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي نَاشَدْتُهَا، فَأَبَتْ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ نَاشَدْتُهَا فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ لَخَرَجَتْ قَبْلَ أَنْ أَدَعَ دِينِي هَذَا؛ فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، وَعَرَفَتْ أَنِّي لَسْتُ فَاعِلًا أَكَلَتْ ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي الأَبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ ، إِلاَّ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لاَ بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

أَمَّا إِنْ تَعَارَضَ بِرُّهُمَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَحَيْثُ لاَ يُمْكِنُ إِيصَال الْبِرِّ إِلَيْهِمَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ، **فَقَدْ قَال الْجُمْهُورُ : طَاعَةُ الأُمِّ مُقَدَّمَةٌ ؛ لأَنَّهَا تَفْضُل الأَبَ فِي الْبِرِّ.**

وَقِيل : هُمَا فِي الْبِرِّ سَوَاءٌ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً قَال لِمَالِكٍ : وَالِدِي فِي السُّودَانِ ، كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ عَلَيْهِ ، وَأُمِّي تَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ ، فَقَال لَهُ مَالِكٌ : أَطِعْ أَبَاكَ وَلاَ تَعْصِ أُمَّكَ .

يَعْنِي أَنَّهُ يُبَالِغُ فِي رِضَى أُمِّهِ بِسَفَرِهِ لِوَالِدِهِ ، وَلَوْ بِأَخْذِهَا مَعَهُ ، لِيَتَمَكَّنَ مِنْ طَاعَةِ أَبِيهِ وَعَدَمِ عِصْيَانِ أُمِّهِ[١] .

وقال ابن بطال: هذا يدل على أنه يرى أن برهما سواء، إذ قال الليث حين سئل عن المسألة بعينها، قال: أطع أمك، فإن لها ثلثي البر، وقال الحافظ ابن حجر: والصواب رأي الجمهور.

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**»، **قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».**[٢]

ومعنى رغم أنفه؛ أي: خاب وخسر وضاعت منه فرصة ما حصلها الذي يدرك والديه أو أحدهما عند كبرهما ولم يدخل الجنة بسبب برهما، فهذه فرصة قد ضاعت من يده.

ارضاء الأم بكل الوسائل:-

أرادت أم أبي حنيفة أن تستفتي في شيء ، فأفتاها ، فلم تقبل، وقالت: ما أقبل إلا ما يقوله زرعة القاص، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة، فقال: هذه أمي تستفتيك في كذا وكذا،فقال: أنت أعلم مني وأفقه، فأفتها أنت،فقال أبو حنيفة: قد أفتيتها بكذا وكذا ، فقال زرعة: القول كما قال أبو حنيفة، فرضيت[٣] .
وكان ابن الحنفية يغسل رأس أمه ويمشطها ويخضبها .

[١] انظر : عشرة النساء للنسائي ص١٢٢.
[٢] اخرجه مسلم رقم (٢٥٥١).
[٣] انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية - (ج ١ / ص ٣٦).

وأسلم أويس على عهد النبي صل الله عليه وسلم ، ولكن منعه من القدوم بره بأمه[1].
وأخرج الحاكم في مستدركه بسنده عن مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، قَالَ: بَلَغَتِ النَّخْلَةُ عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَعَمَدَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى نَخْلَةٍ فَنَقَرَهَا وَأَخْرَجَ جُمَّارَهَا فَأَطْعَمَهَا أُمَّهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ وَأَنْتَ تَرَى النَّخْلَةَ قَدْ بَلَغَتْ أَلْفًا، فَقَالَ: «إِنَّ أُمِّي سَأَلَتْنِيهِ وَلَا تَسْأَلُنِي شَيْئًا أَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهَا».[2]
فهذه أفعالهم في بر الأمهات ، وأين نحن من هذه الأفعال نسأل الله عز وجل أن يعفوا عنا ،وأن يغفر لنا تقصيرنا إنه ولى ذالك والقادر عليه وصل اللهم على محمد النبي الأمى وعلى اله وصحبه وسلم.

***

المبحث الرابع

وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ :-

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " **إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** .[3]

قال ابن كثير: فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ مِنْ سَعْيِهِ وَكَدِّهِ وَعَمَلِهِ، وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ كَالْوَقْفِ وَنَحْوِهِ هِيَ مِنْ آثَارِ عَمَلِهِ وَوَقْفِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس: ١٢] وَالْعِلْمُ الَّذِي نَشَرَهُ فِي النَّاسِ فَاقْتَدَى بِهِ النَّاسُ بَعْدَهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ سَعْيِهِ وَعَمَلِهِ.

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هَدْيٍ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا.[4]

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ عَمَلَ الْمَيِّتِ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ وَيَنْقَطِعُ تَجَدُّدُ الثَّوَابِ لَهُ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبَهَا ؛ فَإِنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِهِ ؛ وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي خَلَّفَهُ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ تَصْنِيفٍ ؛ وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ وَهِيَ الْوَقْفُ ؛ وَفِيهِ فَضِيلَةُ الزَّوَاجِ لِرَجَاءِ وَلَدٍ

---

[1] انظر:الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١ / ص ٧٥).
[2] أخرجه الحاكم رقم (٦٥٣١) والحديث مرسل.
[3] أخرجه مسلم رقم (١٦٣١) والولد الصالح: هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد، ولعل هذا محمول على كمال القبول.
[4] أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

صَالِحٍ؛ وَفِيهِ أَنَّ الدُّعَاءَ يَصِلُ ثَوَابُهُ إِلَى الْمَيِّتِ؛ وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ وَهُمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِمَا؛ وَكَذَلِكَ قَضَاءُ الدَّيْنِ ، وَأَمَّا الْحَجُّ فَيُجْزِي عَنِ الْمَيِّتِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَمُوَافِقِيهِ وَهَذَا دَاخِلٌ فِي قَضَاءِ الدَّيْنِ إِنْ كَانَ حَجًّا وَاجِبًا ، وَإِنْ كَانَ تَطَوُّعًا وصى به فهو مِنْ بَابِ الْوَصَايَا، وَأَمَّا إِذَا مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ فَالصَّحِيحُ أَنَّ الْوَلِيَّ يَصُومُ عَنْهُ ، وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَجَعْلُ ثَوَابِهَا لِلْمَيِّتِ وَالصَّلَاةُ عَنْهُ وَنَحْوُهُمَا فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ أَنَّهَا لَا تَلْحَقُ الْمَيِّتَ وَفِيهَا خِلَافٌ.[1]

وقال الطحاوي في الشرح : وَمَنْ جَمَعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ أَشْيَاءَ فَقَدْ جَمَعَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اجْتَمَعَ لَهُ بِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَخَيْرُ الْآخِرَةِ.[2]

وأخرج ابن ماجة في سننه بسنده عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ[3]، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»**.[4]
وأخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِك[5] لَكَ"**.[6]

وأما وصول ثواب الصدقة، ففي الصحيحين، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَجُلًا[7] قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»**.[8]

قوله: « افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا » أى: ماتت فجأة ، يقال: افتلت الشىء إذا أخذته فجأة.
قال ابن المنذر: وفى ترك النبى - صلى الله عليه وسلم - إنكار فعل المرأة التى افتلتت نفسها حين ماتت ولم توصى؛ دليل على أن تارك الوصية غير عاص لله؛ إذ لو كان فرضًا لأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنها قد تركت فرضًا، وأما قضاء الدين عن

[1] انظر: شرح النووي على مسلم (١١/ ٨٥).
[2] انظر: شرح مشكل الآثار (٥/ ٢٩٥).
[3] (الكسب) هو السعي في تحصيل الرزق وغيره. والمراد المكسوب الحاصل بالطلب والجد في تحصيله بالوجه المشروع.
[4] أخرجه ابن ماجه رقم(٢١٣٧) وصححه الألباني. (وولد الإنسان من كسبه) أي: من المكسوب الحاصل بالجد والطلب ومباشرة الأسباب. ومال الولد من كسب الولد. فصار من كسب الإنسان بواسطة. فجاز له أكله.
[5] (باستغفار ولدك) أي: فينبغي للولد أن يستغفر للوالدين، الولد يطلق على الذكر والأنثى.
[6] أخرجه أحمد رقم(١٠٦١٠)وحسنه الأرنؤوط.
[7] (رجلا) هو سعد بن عبادة رضي الله عنه.
[8] أخرجه البخاري رقم (١٣٨٨) أخرجه مسلم رقم(١٠٠٤).

الميت فما لزم الذمة فلا خلاف فى قضائه عن الميت، وما لزم البدن ففيه الخلاف عن العلماء[١].

وفي صحيح البخاري، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ[٢] صَدَقَةٌ عَلَيْهَا.[٣]

وأما وصول ثواب الصوم، ففي الصحيحين منْ حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ» »[٤].
وأما وصول ثواب الحج، ففي صحيح البخاري، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ :إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟**قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً، اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ »**[٥].
وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أنه ينفعه ويبرأ منه، كما يسقط ذمة الحي، فإذا انتفع بالإبراء والإسقاط فكذلك ينتفع بالهبة والإهداء[٦].

قال شارح الطحاوية: وكل ذلك جارٍ على قواعد الشرع وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته وإبرائه له منه بعد وفاته[٧].

وقال ابن القيم: وبالجملة فأفضل مايهدى إلى الميت العتق، والصدقة، والاستغفار له، والدعاء له، والحج عنه[٨].

***

[١] انظر : شرح البخاري لابن بطال١٩٠/١٥.
[٢] (حائطي) هو البستان من النخل إذا كان له جدار. (المخراف) اسم لحائطه والمخراف الشجرة وقيل ثمرها.
[٣] أخرجه البخاري رقم(٢٥٥١).
[٤] أخرجه البخاري رقم (١٨١٦)وأخرجه مسلم رقم (١٩٣٥).
[٥] أخرجه البخاري رقم (١٧٢٠).
[٦] انظر: مباحث فى العقيدة ل أبو محمد الطيار٥٦/١٩).
[٧] انظر: شرح الطحاوية (١٠٤/٣).
[٨] انظر: كتاب الروح لابن القيم ص٢٢٤).

المبحث السادس

حب الوالد لولده:-

لقد فطر الله تعالى الإنسانية على حب الولد والذرية ، لقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [الكهف: ٤٦] ، وقال تعالى : {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً} [النحل: ٧٢] ، وقال تعالى على لسان زكريا عليه الصلاة والسلام : {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [مريم: ٥-٦] ، وقال تعالى : {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} [آل عمران: ٣٨] ، وقال تعالى : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: ٧٤].

وفي الصحيحين من حديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ[١]، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا[٢] تَسْقِي[٣]، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا[٤] فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ[٥]، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَتُرَوْنَ هَذِهِ[٦] طَارِحَةً وَلَدَهَا[٧] فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ[٨] بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»** [٩].

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ[١٠] جَالِسًا فَقَالَ

---

[١] (سَبْيٌ) هُوَ: مَا يُسْبَى مِنَ الْعَدُوِّ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ.
[٢] (تحلب ثديها) وفي نسخة (تحلب) أي سال منه الحليب.
[٣] (تسقي) حليبها للصبيان.
[٤] (إِذْ وَجَدَتْ) أَيْ: فَاجَأَتْ (صَبِيًّا فِي السَّبْيِ) أَيْ: فِي جُمْلَةِ صِبْيَانِ السَّبْيِ .
[٥] " أخذته وألصقتْهُ ببطنها"؛ يعني: من غاية رحمتها وشفقتها بولدها الغائب إذا وجدت صبيًا أجنبيًا أخذته وأرضعته.
[٦] (أَتُرَوْنَ) بِضَمِّ التَّاءِ أَيْ: أَتَظُنُّونَ (هَذِهِ) أَيِ: الْمَرْأَةَ مَعَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِظَمِ الرَّحْمَةِ حَتَّى عَلَى أَوْلَادِ غَيْرِهَا.
[٧] (طارحة) ملقية.
[٨] (أرحم) أكثر رحمة ورحمته تعالى إحسانه لعباده ودفعه النقمة والعذاب عنهم وعدم مؤاخذتهم على ما كسبوا.
[٩] أخرجه البخارى رقم(٥٩٩٩)وأخرجه مسلم رقم(٢٧٥٤).
[١٠] وهو: الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ أحد المؤلَّفة قلوبُهُم وأحد الأشراف، أقطعه أَبُو بكر، له ولعُيَيْنَة بْن بدر، فعطَّل عليهما عمرُ ومحا الكتابَ الَّذِي كتب لهما أَبُو بكر، وكانا من كبار قومهما، وشهد الأقرع مع خالد حرب أهل العراق وكان على المقدّمة. وَقَالَ ابن دُرَيْد: اسمه فراس بْن حابس بْن عِقال، ولُقِّب الأقرع لقَرَعٍ برأسه[الوفاة: ١٣ - ٢٣ ه].انظر: تاريخ الإسلام (٢/ ١٦٠).

الأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم **ثُمَّ قَالَ مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**[1].

وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ **فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَوَ أَمْلِكُ لَكَ**[2] **أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**[3].

***

واجب الآباء لدى الأبناء:-

قال الشيخ محمد المنجد حفظه الله في دروسه:[4].

أولاً: حسن اختيار الأم ،وكذا حسن اختيار الأب ،فالنبي صلى الله عليه وسلم حث كل مقبل على الزواج أن يظفر بذات الدين مهما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لأن ذات الدين هي نعم العون للزوج على طاعة ربه ؛ونعم العون له على تربية أبنائه، لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا؛ وَلِحَسَبِهَا؛ وَجَمَالِهَا؛ وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**[5]**.متفق عليه.**

وللحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»**[6].

وحث ولي المرأة على حسن اختيار الزوج لموليته ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»**[7].

---

[1] أخرجه البخارى رقم(٥٩٩٧)وأخرجه مسلم رقم(٢٣١٨) (لا يرحم) المخلوقات. (لا يرحم) من قبل الخالق جل وعلا.
[2] (أو أملك لك) أي لا أقدر أن أجعل في قلبك الرحمة إن كان الله تعالى قد نزعها منه.
[3] أخرجه البخارى رقم(٥٩٩٨)وأخرجه مسلم رقم(٢٣١٧).
[4] انظر: دروس للشيخ محمد المنجد (٢١/ ٩)، بترقيم الشاملة آليا.
[5] أخرجه البخارى رقم (٥٠٩٠) من حديث أبي هريرة واللفظ له،ومسلم رقم(١٤٦٦).
[6] أخرجه مسلم رقم (١٤٦٧).
[7] أخرجه الترمذىرقم (١٠٨٤)وحسنه الألباني.

ثانياً: حث النبي صلى الله عليه وسلم الرجل إذا أراد أن يأتي أهله أن يقول بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ففي الحديث المتفق عليه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا "[١] .

ثالثاً: من حقوقه حسن اختيار الاسم، فالاسم الحسن له تأثير حسن على صاحبه، والاسم السيئ له تأثير سيء على صاحبه،وللحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ».[٢]

وجاءت السنة القولية والعملية عن النبي صلى الله عليه وسلم بكراهة الاسم الذي يحمل معنى بغيضا ،أو يحمل معنى يدل على تزكية صاحبه ونحوه، كما جاءت السنة بتحريم الأسماء المعبّدة لغير الله ووجوب تغييرها.

رابعا:تعلمهم إذا بلغوا سن التمييز ما يطيقون من صفة الطهارة والصلاة وسورة الفاتحة وما تيسر من قصار السور وشيئاً من آداب الأكل والشرب واللباس والنوم والاستيقاظ ونحو ذلك مما يطيقونه ويستوعبونه

ثم تتدرج معهم شيئاً فشيئاً ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود بسند حسن عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».[٣]

ويربى الابن على الحفاظ على صلاة الجماعة وعلى لبس الثوب فوق الكعبين، وعلى إكرام الضيف ونحو ذلك من الآداب.

وتربى البنت على الصلاة في بيتها وعلى الحجاب وعلى لبس الثياب الساترة والبعد عن مخالطة الرجال حتى لا تصل سن البلوغ أو تقاربها إلا وقد تقررت هذه الآداب في نفسها.

لقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)** (سورة التحريم آية ٦) قَالَ قتاده: مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ , وَانْهَوْهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ[٤].

---

[١] اخرجه البخاري رقم (٦٣٨٨)واللفظ له ،ومسلم رقم (١٤٣٤).
[٢] أخرجه أبو داود رقم(٤٩٤٩) وصححه الألباني.
[٣] أخرجه ابو داودرقم (٤٩٥)وصححه الألباني.
[٤] انظر : الحاوى فى تفسير القران الكريم٧٧٣/٦٤.

وقال بعض السلف: أي: أدبوهم وعلموهم.

خامسا: تأديبهم وتعليمهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق ومحاسنها بأن تعلمهم توحيد رب العالمين، أنه لا يعبد إلا الله، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يطلب النفع إلا منه ، ولا يستدفع الضر إلا به.

سادسا: الدعاء لهم بالخير ،فإن الدعاء من أقوى الأسباب في تحقيق المطالب ونيل المآرب قال تعالى عن زَكَرِيَّا-عليه السلام-: **{قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}** [آل عمران: ٣٨] فلم يطلب الذرية فقط ؛وإنما طلب ذرية طيبة ،أي: صالحة تخاف الله وترجو ثوابه.

وقال تعالى عن عباد الرحمن الموعودين بالغرف والجنان؛ أن من هديهم وآدابهم دعاءهم ربهم قائلين **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: ٧٤]** قال ابن جرير أي: مَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُنَا مِنْ أَنْ تُرِينَاهُمْ يَعْمَلُونَ بِطَاعَتِكَ.[1]

وكما أخبرنا عن عباده الصالحين الموعودين بقبول حسناتهم وغفران سيئاتهم أن من دعائهم طلب صلاح الذرية فقال تعالى: **{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥]** ففي هذه الآيات تعليم وإرشاد لنا أن ندعو لأبنائنا بالصلاح والهداية والاستقامة[2].

***

---

[1] انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣١٨).
[2] انظر: دروس للشيخ محمد المنجد (٢١/ ٩، بترقيم الشاملة آليا).

المبحث السابع

بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِـهِمَا

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»**[1]

وأخرج البخاري فى الأدب المفرد بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : تُرْفَعُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ دَرَجَتُهُ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ ؟ فَيُقَالُ : وَلَدُكَ اسْتَغْفَرَ لَكَ[2].

وعنه ايضا قال: حَدَّثَنَا مُوسَى قَالَ : حَدَّثَنَا سَلاَّمُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ ، عَنْ غَالِبٍ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَيْلَةً ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَلِأُمِّي ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمَا قَالَ لِي مُحَمَّدٌ : فَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ لَهُمَا حَتَّى نَدْخُلَ فِي دَعْوَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[3].

وعنه آيضا قال: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْغَسِيلِ قَالَ : أَخْبَرَنِي أُسَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أُسَيْدٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا ؟ **قَالَ : نَعَمْ ، خِصَالٌ أَرْبَعٌ : الدُّعَاءُ لَهُمَا ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ رَحِمَ لَكَ إِلاَّ مِنْ قِبَلِهِمَا**[4] .

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعٌ يَجْرِي أَجْرُهَا لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عَلِمَ عِلْمًا أَوْ أَجْرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بِئْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ» هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ الْعَرْزَمِيِّ[5].

[1] أخرجه مسلم رقم (٢٥٥٢) .
[2] انظر:الأدب المفرد (ص: ٢٨) وحسنه الالبانى .
[3] انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٨) وصححه الالبانى .
[4] انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٨) وضعفه الالبانى ((الضعيفة)) (٥٩٧)
[5] انظر : حلية الأولياء٢/٣٤٤).

وأخرج أبي داود فى سننه عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟» [1] .

عَرْضِ الإِسْلاَمِ عَلَى الْأُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ:-

اخرج البخاري فى الأدب عن أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ السُّحَيْمِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : مَا سَمِعَ بِي أَحَدٌ ، يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ، إِلاَّ أَحَبَّنِي ، إِنَّ أُمِّي كُنْتُ أُرِيدُهَا عَلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى ، فَقُلْتُ لَهَا ، فَأَبَتْ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ لَهَا ، فَدَعَا ، فَأَتَيْتُهَا ، وَقَدْ أَجَافَتْ عَلَيْهَا الْبَابَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّي أَسْلَمْتُ ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ لِي وَلِأُمِّي ، فَقَالَ : **اللَّهُمَّ عَبْدُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأُمُّهُ أَحِبَّهُمَا إِلَى النَّاسِ**[2] .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».[3]

فالْبِرُّ بِالْوَالِدَيْنِ فَرْضُ عَيْنٍ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ ، وَلاَ يَخْتَصُّ بِكَوْنِهِمَا مُسْلِمَيْنِ ، بَل حَتَّى لَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ يَجِبُ بِرُّهُمَا وَالإِْحْسَانُ إِلَيْهِمَا مَا لَمْ يَأْمُرَا ابْنَهُمَا بِشِرْكٍ أَوِ ارْتِكَابِ مَعْصِيَةٍ ، لِقَوله تَعَالَى : **{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }** [الممتحنة: ٨].

فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُول لَهُمَا قَوْلاً لَيِّنًا لَطِيفًا دَالًّا عَلَى الرِّفْقِ بِهِمَا وَالْمَحَبَّةِ لَهُمَا ، وَيَجْتَنِبَ غَلِيظَ الْقَوْل الْمُوجِبَ لِنُفْرَتِهِمَا ، وَيُنَادِيَهُمَا بِأَحَبِّ الأَْلْفَاظِ إِلَيْهِمَا ، وَلْيَقُل لَهُمَا مَا يَنْفَعُهُمَا فِي أَمْرِ دِينِهِمَا وَدُنْيَاهُمَا ، وَلاَ يَتَبَرَّمُ بِهِمَا بِالضَّجَرِ وَالْمَلَل وَالتَّأَفُّفِ ، وَلاَ يَنْهَرُهُمَا ، وَلْيَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا .

وَفِي الصَحِيحين منْ حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» [1] .

---

[1] أخرجه أبو داود رقم(١٤٥٣)،وضعفه الألباني ضعيف الجامع الصغير (٥٧٦٢).

[2] انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٧) وحسنه الالبانى.

[3] أخرجه مسلم رقم(١٥٣).

وَفِي هَذَا الْمَقَام قَال اللَّهُ تَعَالَى : **{ ووَصَّيْنَا الإِْنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }** [العنكبوت: ٨]. قِيل : نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : قَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ : " نَزَلَتْ فِيَّ **(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)**قَالَ : لَمَّا أَسْلَمْتُ ، حَلَفَتْ أُمِّي لَا تَأْكُلُ طَعَامًا وَلَا تَشْرَبُ شَرَابًا ، قَالَ : فَنَاشَدْتُهَا أَوَّلَ يَوْم ، فَأَبَتْ وَصَبَرَتْ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي نَاشَدْتُهَا ، فَأَبَتْ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ نَاشَدْتُهَا فَأَبَتْ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ لَخَرَجَتْ قَبْلَ أَنْ أَدَعَ دِينِي هَذَا ؛ فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ ، وَعَرَفَتْ أَنِّي لَسْتُ فَاعِلًا أَكَلَتْ.[٢]

والقصة عند مسلم في صحيحه بسنده عن مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي} وَفِيهَا {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥].[٣]

***

---

[١] اخرجه البخارى رقم(٢٦٢٠) واللفظ له، ومسلم رقم(١٠٠٣) (راغبة) أي: في الإسلام، وقيل عنه أي: كارهة له.

[٢] انظر: تفسير الطبري٢٠-١٣٨).

[٣] أخرجه مسلم رقم(١٧٤٨).

بَابُ لاَ يَسْتَغْفِرُ لِأَبِيهِ الْمُشْرِكِ

أخرج البخاري في الأدب المفرد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الإسراء: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ: {كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤] ، فَنَسَخَتْهَا الْآيَةُ فِي بَرَاءَةَ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة: ١١٣].[١]

وَفِي الدُّعَاءِ بِالرَّحْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ حَال حَيَاتِهِمَا خِلاَفٌ ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ .

أَمَّا الاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا فَمَمْنُوعٌ ، اسْتِنَادًا إِلَى قَوْله تَعَالَى : **{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** [التوبة: ١١٣].

فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي اسْتِغْفَارِهِ - صلى الله عليه وسلم - لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لأَِبَوَيْهِ الْمُشْرِكَيْنِ ، وقال: وَانْعَقَدَ الإِْجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ الاِسْتِغْفَارِ لَهُمَا بَعْدَ وَفَاتِهِمَا وَحُرْمَتِهِ ، وَعَلَى عَدَمِ التَّصَدُّقِ عَلَى رُوحِهِمَا.

أَمَّا الاِسْتِغْفَارُ لِلأَْبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ حَال الْحَيَاةِ فَمُخْتَلَفٌ فِيهِ ؛ إِذْ قَدْ يُسْلِمَانِ[٢]

***

الولاء والبراء لله ولرسوله صل الله عليه وسلم .

اخرج بن حبان في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ وَهُوَ فِي ظِلِّ أَجَمَةٍ، فقَالَ: قَدْ غَبَّرَ عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ[٣]،

[١] انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٢)وحسنه الألباني.
[٢] انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٤).

[٣] قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبُو كَبْشَةَ هَذَا وَالِدُ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَحْسَنَ دِينَ النَّصَارَى، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَظْهَرَهُ، فَعَاتَبَتْهُ قُرَيْشٌ حَيْثُ جَاءَ بِدِينٍ غَيْرِ دِينِهِمْ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُعَيِّرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَنْسِبُهُ إِلَيْهِ، يَعْنُونَ بِهِ أَنَّهُ جَاءَ بِدَيْنٍ غَيْرِ دِينِهِمْ، كَمَا جَاءَ أَبُو كَبْشَةَ بِدَيْنٍ غَيْرِ دِينِهِمْ.

فقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَئِنْ شِئْتَ لَآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ.**[1]

المبحث الثامن

مواعظ الآباء للأبناء:-

نقلا عن ابن عبد ربه الأندلسي فى العقد الفريد .

قَالَ لُقْمَان عَلَيْهِ السَّلَام لِابْنِهِ: من كذب ذهب مَاء وَجهه؛ وَمن سَاءَ خلقه كثر غمه ؛وَنقل الصخور من مَوَاضعهَا أيسر من إفهام من لَا يفهم.

وقَالَ: إذا أتيت مجلسَ قوم فأْرمهِمْ بسَهْم السلامِ ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذِكر اللهّ فأَجِلْ سَهمْك مع سِهامهم، وإن أَفاضوا في غير ذلك فَتَخَلَّ عنهم وانهض.

وقال: يا بني، استَعِذ باللهّ من شِرَار الناس؛ وكُنْ من خِيارهم على حَذَر.

ومثْلُ هذا قولُ أكْثَم بن صَيْفي: احذر الأمين ولا تأتمن الخائن، فإنّ القُلوب بيد غيرك.

وقَالَ: لا تركنْ إلى الدنيا، ولا تَشْغَل قلبك بها، فإِنك لم تُخْلَق لها، وما خَلَق الله خَلْقاً أهون عليه منها، فإنه لم يجعل نعيمَها ثواباً للمُطيعين، ولا بلاءَها عُقوبة للعاصين.

يا بني: لا تضحك من غير عجب، ولا تَمْش في غير أرب، ولا تسأل عما لا يَعْنيك.

يا بني: لا تُضَيِّع مالَك وتُصلِحْ مالَ غيرك، فإنّ مالَك ما قدَّمت، ومالَ غيرك ما تركت.

يا بني: إنه من يَرْحم يُرْحَم، ومن يَصْمُت يَسْلم، ومن يَقُل الخير يَغْنَم، ومَنْ يقُل الباطل يأثَم، ومن لا يملك لِسانَه يَنْدم.

يا بني: زاحم العلماء برُكْبَتَيْك، وأنصت إليهم بأًذنَيك، فإِنّ القلب يَحيا بنُور العُلماء كما تحيا الأرض المَيتة بمطر السماء.

---

[1] اخرجه بن حبان فى صحيحه ٢-١٧٠ وحسنه الألباني الصحيحه ٣٢٢٣.

- يا بني ! ارج الله رجاءً لا تأمن فيه مكره، وخاف الله مخافة لا تيأس بها رحمته.
- يا بني ! أكثر من قول : رب اغفر لي، فإن لله ساعة لا يُردُّ فيها سائل.
- يا بني ! إن العمل لا يستطاع إلا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله.
- يا بني ! إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريبة فأغلبه باليقين، وإذا جاءك من قبل السآمة فأغلبه بذكر القبر والقيامة، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرهبة فأخبره أن الدنيا مفارقةُ متروكة.
- يا بني ! اتخذ تقوى الله تجارةً، يأتيك الربح من غير بضاعة.
- يا بني ! إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور، عما قليل يقلى صاحبه.
- يا بني ! لا تأكل شبعاً على شبع، فإنك إن تلقه للكلب خيرٌ من أن تأكله.
- يا بني ! لا تكن حلواً فتبلع، ولا مراً فتلفظ.
- يا بني ! لا تؤخر التوبة فأن الموت يأتي بغتة.
- يا بني ! اتق الله، ولا تُر الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر.
- يا بني ! ما ندمت على الصمت قط، وإن كان الكلام من الفضة؛ كان السكوت من الذهب.
- يا بني ! اعتزل الشر كيما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق.

يا بني ! ليكن لك علو الهمة في طلب الجنة والعزم للشهادة في سبيل الله.

- يا بني ! اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يُذكرُ الله عز وجل فيه فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك وإن تك عيِّيًا يعلموك، وان يطلع الله عز وجل إليهم برحمة تصبك معهم.
- يا بني ! انصب رايتك راية الحق ورباطك في سبيل الله خير من خير في الدنيا.
- يا بني ! انزل نفسك منزلة من لا حاجة له بك ولا بدَّ لك منه.
- يا بني ! إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.
- يا بني ! جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله ليحيي القلوب الميتة بنور الحكمة؛ كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.
- يا بني ! امتنع مما يخرج من فيك، فإن ما سكتَّ سالم وإنما ينبغي لك من القول ما ينفعك.
- يا بني ! يا بُنَيَّ إِنَّكَ مُنْذُ نَزَلْتَ إلي الدُّنْيا اسْتَدْبَرْتَها وَاسْتَقْبَلْتَ الآخِرَةَ، فَدارٌ أَنْتَ إِلَيْها تَسِيرُ أَقْرَبُ مِنْ دارٍ أَنْتَ عَنْها تُباعِدُ.

- يا بني ! إياك والدَّين، فإنه ذلُّ النهار همّ الليل.
- يا بني ! لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك الحكماء.
- يا بني ! من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه.

يا بني ! إعلم بأن الجهاد ذروة سنام الإسلام.

وقال خالدُ بن صَفْوان لابنه: كُن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالاً، أقلّ ما تكون في الباطن مآلاً، ودَعْ من أعمال السرِّ مالا يَصْلُح لك في العلاَنِيَة.
وقال أعرابي لابنه: يا بني، إنه قد أَسْمَعك الدَّاعي، وأعذر إليك الطالب، وانتهى الأمرُ فيك إلى حَدّه، ولا أعرِفُ أعظمَ رزيّة ممن ضَيَّعَ اليقين وأَخْطأه الأمَلَ.
وقال حكيم لبنيه: يا بني، إياكم أن تكونوا بالأحداث مُغْتَرين، ولها آمنين، فإني واللّه ما سَخِرْت من شيء إلا نزل بي مثله، فاحذَروها وتوقَّعوها، فإنما الإنسان في الدُّنيا غرَضٌ تَتَعاوره السِّهام، فمُجَاوزٌ له ومُقصِّر عنه وواقعٍ عن يمينه وشماله، حتى يُصيبه بعضها؛ واعلموا أن لكل شيء جزَاءَ ولكل عمل ثواباً.
وقد قالوا: كما تَدِين تُدَان، ومن بَرِّ يوماً بُرَّ به.
وقال الشاعر:

إذا ما الدَّهر جرَّ على أُناس ... حوادثَه أناخ بآخَرينَا
فقُلْ للشّامتين بنا أَفيقوا ... سَيَلقى الشامِتون كما لَقِينا

حَضَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ الْمَوْتُ فَقَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا فَإِنَّكَ إِلَّا تَحْفَظْهَا مِنِّي خَلِيقٌ أَنْ لَا تَحْفَظَهَا مِنْ غَيْرِي: اتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ؛وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ خَيْرًا مِنْكَ أَمْسِ، وَغَدًا خَيْرًا مِنْكَ الْيَوْمَ فَافْعَلْ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ ،وَعَلَيْكَ بِالْإِيَاسِ فَإِنَّكَ لَا تَيْأَسُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْهُ ،وَإِيَّاكَ وَكُلَّ شَيْءٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يُعْتَذَرُ مِنْ خَيْرٍ ،وَإِذَا عَثَرَ عَاثِرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ فَاحْمَدِ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَهُ، فَإِذَا قُمْتَ إِلَى صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ الْمُوَدِّعِ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّكَ لَا تُصَلِّي بَعْدَهَا أَبَدًا .[1]
وقال عليَّ بن الحُسن عليهما السلام لابنه: يا بني، إن الله لم يَرْضَك لي فأَوصاك بي، ورَضيَنى لك فَحَذّرني منك، واعلم أنّ خيرَ الآباء للأبناء مَن لم تَدْعُه المودة إلى التفريط فيه، وخيرَ الأبناء للآباء من لم يَدْعُه التقصيرُ إلى العُقوق له.

وقال حكيم لابنه: يا بني، إن أشدَّ الناس حسرةً يومَ القيامة رجلٌ كَسَب مالاً من غير حِلّه فأدخله النارَ، وأوْرَثه مَنْ عَمِل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة.
وقَالَ سُفْيَان بْن عَمْرو بْن عُتْبَة : لما بلغت خمسَ عشرةَ سنة، قَالَ لي أَبِي: أَيّ بنيَّ! قَد انقطعتْ عَنْك شرائع الصِّبا، فاختلطْ بِالْخَيرِ تكن من أهله، وَلا تزايله فَتَبِينَ مِنْهُ كُله، وَلا

[1] امظر: الزهد لأحمد بن حنبل (ص٣٠٨).

يغرَّنَّك من اغْترَّ بِاللَّه عَزَّ وَجَلّ فِيك فمدحك بِمَا تعلم خِلَافه من نَفسك، وَاعْلَم أَنَّهُ يَا بني لَا يَقُولُ أحدٌ فِي احدٍ من الْخَيْر مَا لَا يعلم إِذا رَضِيَ، إِلا قَالَ فِيهِ مثله من الشَّرِّ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ إِذا سخط، فاستأنسْ بالوحدة من جلساء السَّوء تسلم من عواقبهم، وَلا تنقل حُسْن ظَنِّي بك إِلَى غَيره، قَالَ: سُفْيَان فَمَا زَالَ كَلَام أَبِي لي قِبْلَةً أنتقل مَعهَا وَلا أنتقل عَنْهَا وَمَا شيءٌ أَحْمَدَ مَغَبَّةً من قبولٍ من نَاصح معروفٍ نُصْحَه.

وقال عبد الملك بنُ مَرْوان لبَنيه: كُفّوا الأذى، وابذُلوا المعروف، واعْفوا إذا قَدَرْتم!، ولا تَبْخَلوا إذا سئلتم، ولا تُلْحِفوا إذا سألْتم، فإنه من ضيّق ضُيِّقَ عليه، ومن أعطى أخْلَفَ اللهّ عليه.

وقال الأشعث بن قيس لبنيه: يا بنيّ، لا تذلّوا في أعراضكم، وانخدعوا في أموالكم؛ ولتخفّ بطونكم من أموال الناس، وظهوركم من دمائهم، فإنّ لكل امرىء تبعة ؛ وإياكم وما يعتذر منه أو يستحى؛ فإنما يعتذر من ذنب، ويستحي من عيب؛ واصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان، وكفوا عند الحاجة عن المسألة؛ فإنه كفى بالردّ منعا؛ وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدرا؛ وامنعوا النساء من غير الأكفاء؛ فإنكم أهل بيت يتأسّى بكم الكريم، ويتشرف بكم اللئيم، وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الحبل ، فإذا اضطرب الحبل فالحقوا بعشائركم.

وكتب عمرُ بن الخطّاب إلى ابنه عبد الله في غَيْبة غابها: أمَّا بعد، فإنّ مَنِ اتقى اللهّ وَقاه، ومن اتَّكل عليه كفاه، ومن شكَرَ له زاده، ومن أقْرَضه جَزاه؛ فاجعل التَّقوى عِمارة قلبك وجَلاءَ بَصرك، فإنه لا عمَل لمن لا نِيَّة له، ولا خيرَ لمن لا خَشْيَة له، ولا جديد لمن لا خلق له.

وكتب عليُّ بن أبي طالب إلى وَلده الحَسن عليهما السلام: يا بني فإني مُوصيك بتقوى الله وعِمَارة قلبك بذكره، والاعتصام بحَبْله، فإنَّ الله تعالى يقول: **" وَاْعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْ كُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً "**(آل عمران :١٠٣) وأيُّ سبب يا بُني أوْثق من سبب بينك وبين الله تعالى " إن أنت أخذت به " .

أحْي قلبك بالموْعظة، ونَوره بالحكمة، وأَمِّنه بالزُّهْد، وذَلِّلْهُ بالموت، وقَوِّهِ بالغِنَى عن الناس، وحَذِّرْه صولةَ الدّهر، وتقلُّبَ الأيام والليالي.

واعرض عليه أخبارَ الصالحين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم فانظرُ ما فعلوه وأين حلُّوا، فإنك تَجِدهم قد أنتقلوا عن دار الأحبّة ونزلوا دارَ الغُرْبة، وكأنك عن قليل يا بنيّ قد صرت كأحدهم، فبعْ دنياكَ بآخرتك، ولا تبعْ آخرتك بدُنياك؛ ودَع القولَ فيما لا تَعْرِف، والأمرَ فيما لا تكلَّف، وأمُر بالمعروف بيَدِك ولسانك، وَانْهَ عن المنكر بيدك ولسانك، وباينْ مَن فعَلَه؛ وخُض الغَمَرَاتِ للحق، ولا تأخُذْك في الله لومةُ لائم، واحفظ وَصيَّتي ولا تَذْهَب عنك صَفْحاً، فلا خير في عِلْم لا ينفع.

واعلم " أنَّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة " ، وأنه لا غِنى لك فيه عن حُسْن الارتياد، مَع بلاغك مِن الزَّاد.
فإن أصَبتَ من أهلِ الفاقة مَنْ يحمل عنك زادك فيُوافِيك به في مَعارك فاغْتنِمه، فإن أَمامك عَقَبَةً كَؤُداً لا يُجاوزها إلا أخفُّ الناس حْملاً، فأَجْمل في الطلب، وأحسِن المكتسب، فرُب طَلَب قد جرَّ إلى حَرَب، وإنما المحْرُوب من حُرِبَ دِينُه، والمسلوبُ من سُلِبَ يقينه.
واعلم أنه لا غِنى يَعْدِل الجنَّة، ولا فقْرَ يَعْدِل النار والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.
وكتب إلى ابنه محمد بن الحنفية: أنْ تَفَقّه في الدّين، وعَوِّد نفسَك الصبر على المَكْروه، وكِلْ نَفْسَك في أمورك كلِّها إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنك تَكِلُها إلى كهف.
وأَخْلِص المسألة لربِّك فإنّ بيده العَطاء والحِرمان.
وأكثِر الْاسْتخارة له، واعلم أنَّ من كانت مَطيّته الليلَ والنهار " فإنه " يُسار به وإن كان لا يَسير، فإنَّ الله تعالى قد أبى إلا خرابَ الدنيا وعمارة الآخرة.
فإن قَدرتَ أن تَزْهد فيها زُهْدَك كلّه فافعل ذلك، وإن كنتَ غير قابل نَصِيحتي إيّاك فاعلَم عِلْماً يَقِيناً أنك لن تَبْلُغ أملك، ولن تَعْدو أجلك، وأنك في سَبيل مَن كان قَبْلك، فأكْرِم نفسَك عن كل دَنِيَّة، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تَعتاض بما تَبْذُلُ من نفسك " عوضاً " .
وإيّاك أن تُوجِف بك مَطايا للطمع وتقول: متى ما أخِّرت نزعتُ، فإنَّ هذا أهْلَكَ مَن هَلك قَبْلك.
وأمسِك عَليك لسانك، فإنَ تَلافِيكَ ما فرط من صَمْتك أيْسر عليك من إدراك ما فات من مَنْطقك، واحفَظْ ما في الوِعاء بشدّ الوكاء، فحُسْن التَّدبير مع الاقتصاد أبْقى لك من الكثير مع الفَساد، والحُرْفَةَ مع العِفّة خير من الغِنَى مع الفجور والمَرْء أحفظُ لسِرّه، ولربما سَعى فيما يَضرُه.
إياك والاتّكالَ على الأماني، فإنها بضائع النَّوكي وتًثبط عن الآخرة والأولى.
ومن خير حظّ الدنيا القَرين الصالح، فقارنْ أهلَ الخَير تَكُن منهم، وباين أهلَ الشر تَبِنْ عنهم، ولا يَغْلبنَ عليك سوء الظنّ، فإنه لن يَدعَ بينك وبين خليل صُلْحاً.
أذك قلبك بالأدب كما تذكى النار الحطب ،واعلم أنّ كُفْر النِّعمة لُؤم، وصُحْبة الأحمق شُؤم، ومن الكَرَم مَنْع الحُرَمٍ، ومَن حَلُم ساد، ومَن تَفَهّم ازداد، آمْحَض أخاك النصيحةَ، حسنةًَ كانت أو قبيحةً.
لا تَصرْم أخاك على ارتياب، ولا تَقْطعه دون استعتاب، وليس جزاء من سرّك أن تَسُوءه.
الرزق رزْقان: رِزْق تَطْلبه ورِزْق يَطلبك، فإن لم تأته أتاك.
واعلم يا بُني أن مالَك من دُنياك إلا ما أصلحت به من مَثْواك، فأنْفق من خَيْرك، ولا تَكن خازناً لِغَيرك، وإن جَزِعْت على ما يُفلت من يديك فاجزع على ما لم يَصِل إليك.

ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه، وأبصر الأَعمى رُشْدَه، ولم يَهْلك أمرؤ اقتصد، ولم يَفْتقر من زَهد.
مَن ائتمن الزمانَ خانه، ومن تَعظّم عليه أهانه.
رأسُ الدين اليقين، وتمام الإخلاص اجتناب المَعاصي، وخيرُ المَقال ما صَدّقَته الفِعَال.
سَلْ عن الرَّفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدّار، واحمل لِصَديقك عليك، واقْبل عُذْر مَن اعتذر إليك، وأخر الشرَّ ما استطعت، فإنك إذا شِئْت تَعجّلته.
لا يكن أخوك على قَطِيعتك أقوَى منك على صِلَته، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان.
لا تُمَلّكن المرأة من الأمر ما يّجاوز نفسها، فإنَّ المرأة رَيْحانة، وليست بِقَهْرمانة، فإنَّ ذلك أدومُ لحالها، وأرخَى لبالها.
واغضُض بصرَها بِستْرك، واكفُفْها بحجابك، وأكرم الذين بهم تَصُول، وإذا تطاولتَ بهم تَطُول.
اسأل الله أن يُلْهمك الشكر والرَّشد، ويُقَوِّيك على العمل بكل خَيْر، ويَصرف عنك كل مَحْذور برحمته، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته[1].

من مواعظ الحكماء:-

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أُوصيكم بخَمس لو ضرَبتم عليها آباط الإبل لكان قليلاً: لا يَرْجًوَن أحدكم إلا ربّه، ولا يخافنَ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سُئل عما لا يَعلم أن يقول: لا أعلم.
وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد.
وقال أيضاً: من أراد الغِنَى بغير مال، والكثرةَ بلا عَشية، فليتحوَّل من ذُلِّ المَعصية إلى عزِّ الطاعة " أبى الله إلا أن يُذِلّ مَن عصاه.
وقال الحسنُ: مَن خاف اللهّ أخاف اللهّ منه كل شيء، ومن خاف الناسَ أخافه الله من كل شيء.
وقال بعضُهم: من عَمِلَ لأخرته كَفَاه الله أمرَ دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح اللهّ ما بينه وبين الناس، ومَن أخلص سريرتَه أخلص الله علانيَته.
قال العُتْبيّ: اجتمعت العربُ والعجم على أربع كلمات: قالوا: لا تَحْملنّ على قلبك مالا يُطِيق، ولا تعملنَّ عملاً ليس لك فيه مَنْفعة، ولا تَثِقْ بامرأة، ولا تغتر بمال وإن كثُر.
وقال أبو بكر الصدِّيق لعُمَر بن الخطّاب رضي الله عنهما عند مَوته حين استخلفه: أُوصيك بتقوى الله، إن للّه عملاً بالليل لا يَقْبَلُه بالنهار، وعملا بالنهار لا يَقْبَله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تُؤَدَّى الفرائض، وإنما ثَقُلَتْ موازِين مَن ثقُلت موازينهم يومَ

---

[1] انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ص٣٤٥.

القيامة باتباعهم الحقّ وثقَلِه عليهم، وحُقّ لميزانٍ لا يُوضع فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلا، وإنما خَفّت موازينُ من خَفّت موازينهم يومَ القيامة بأتْباعهم الباطل فِي الدُّنيا وخِفّته عليهم، وحُقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً، وإن الله ذَكَر أهلَ الجنَّة فَذكَرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوَزَ عن سيئاتهم؛ فإذا سمعتَ بهم قُلْت: إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء؛ وذكرَ أهل النار بأقبح أعمالهم، وأمسك عن حَسَناتهم، فإذا سمعتَ بهم قلتَ: أنا خيرٌ من هؤلاء، وذكر آية الرّحمة مع آية العذاب ليكونَ العبدُ راغباً راهباً لا يتمنى على الله غيرَ الحق، فإذا حفظت وصيَّتي فلا يكون غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، وهو آتيك؟ وإن ضيّعْت وصيَّتي فلا يكون غائبٌ أكرَه إليك من الموت، ولن تُعْجزه[1].

وصل الله علي نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

حكم الاحتفال بعيد الأم:-

سئل سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رقم الفتوى: ٩٨٩

نحن في كل سنة يقام عندنا عيد خاص يسمى (عيد الأم) وهو في (٢١ مارس) فيحتفل فيه جميع الناس؛ فهل هذا حلال أو حرام ؟ وعلينا الاحتفال به وتقديم الهدايا. أم لا ؟

الجواب: إن كل الأعياد التي تخالف الأعياد الشرعية: كلها أعياد بدع حادثة ما كانت معروفة في عهد السلف الصالح، وربما يكون منشؤها من غير المسلمين أيضاً، فيكون فيها مع البدعة مشابهة أعداء الله سبحانه وتعالى، والأعياد الشرعية معروفة عند أهل الإسلام: وهي عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع (يقصد يوم الجمعة) وليس في الإسلام أعياد سوى هذه الأعياد الثلاثة.

وكل أعياد أحدثت سوى ذلك فإنها مردودة على محدثيها، وباطلة في شريعة الله سبحانه وتعالى - لقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» [2].

أي: مردود عليه غير مقبول عند الله، وفي لفظ: **"مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"** وإذا تبين ذلك فإنه لا يجوز في العيد الذي ذكرت السائلة والتي سمته عيد الأم - لا يجوز فيه إحداث شيء من شعائر العيد، كإظهار الفرح والسرور وتقديم الهدايا وما أشبه ذلك.

سؤ ال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. عن الاحتفال بعيد الأم ،الفتوى رقم ٧٩١٢؟

---

[1] انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ص٣٤٥

[2] والحديث متفق عليه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري رقم(٢٦٩٧)واللفظ له ،ومسلم رقم(١٧١٨).

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، وبعد :

لا يجوز الاحتفال بما يسمى عيد الأم ولا نحوه من الأعياد المبتدعة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** » وليس الاحتفال بعيد الأم من عمله صلى الله عليه وسلم ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ولا من عمل سلف الأمة وإنما هو بدعة وتشبه بالكفار .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[1] .

وسئل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن حكم الاحتفال بالموالد النبوية وغيرها؟.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .
أما بعد: فقد تكرر السؤال من كثير عن حكم الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، والقيام له في أثناء ذلك، وإلقاء السلام عليه، وغير ذلك مما يفعل في الموالد .
والجواب أن يقال: لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره ؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله، ولا خلفاؤه لراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعة لشرعه ممن بعدهم، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " [2] أي: مردود عليه.
وقال في حديث آخر: (...فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)[3].
ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع، والعمل بها، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧] وقال عز وجل :{ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] وقال سبحانه {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢٢] وقال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} [التوبة: ١٠٠] .

---

[1] انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٣٨/ ٩٤)

[2] سبق تخريجه

[3] أخرجه أحمد فى مسنده من حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رقم(١٧١٤٤)وقال شعيب الأرناؤط : حديث صحيح ورجاله ثقات.

وقال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة: ٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به،

حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة.

والرسول صلى الله عليه وسلم علي قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقا يوصل إلى الجنة، ويباعد من النار إلا بينه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما بَعث الله من نبِيٍّ إلاَّ كان حقاً عليه أن يدلَّ أمَّتَه على خير ما يعلمه لهم، ويُنذِرهم شرّ ما يعلمه لهم**[1] **.**

ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغاً ونصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته، كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين وقد جاء في معناهما أحاديث أخر، مثل قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة: « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ »[2].

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها، عملا بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات، كالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات الملاهي، وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر، وظنوا أنها من البدع الحسنة.

والقاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال الله عز وجل: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} [النساء: ٥٩] ،وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى: ١٠].

وقد رددنا هذه المسألة وهي: الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه، فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن

[1] اخرجه مسلم رقم(١٨٤٤).
[2] اخرجه مسلم رقم(٢٠٤٣).

الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا، وأمرنا باتباع الرسول فيه.
وقد رددنا ذلك- أيضا- إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نجد فيها أنه فعله، ولا أمر به، ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق، وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام، بل هو من البدع المحدثات، التي أمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة :١١١] وقال تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[الأنعام:١١٦] ،ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد- مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى، كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك، وهو الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به، وطلبه المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس، حين احتفالهم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم علي وغيره ممن يسمونهم بالأولياء، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ.) [١] وقال عليه الصلاة والسلام: (لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه) [٢]
ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة، ويدافع عنها، ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات، ولا يرفع بذلك رأساَ، ولا يرى أنه أتى منكراً عظيماً، ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة، وكثرة ما ران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصي، نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين.
ومن ذلك: أن بعضهم يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر المولد، ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل، وأقبح الجهل، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة، كما قال الله تعالى في سورة المؤمنين: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ

[١] اخرجه النسائي ٤-١٧٨ وصححه الألباني
[٢] خرجه البخاري في صحيحه رقم٣٤٤٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ١٦] وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ.[١]
عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، فهذه الآية الكريمة، والحديث الشريف، وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث، كلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأموات، إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به[٢].

*****

الخاتمة

نسأل الله حسنها ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعِ وَالْمَآب، والله من وراء القصد وهو ولينا ونعم النصير، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، نافعا لي ولمن يقرأه ويصححه، وأن يجعله موافقا لما يحبه ويرضاه، وأن يجنبنا فيه الزلل، ويتقبله مني، وينفعني به في الآخرة، إنه ولي ذلك ومولاه، وأعوذ بالله أن أكون جسرا يُعبر به إلى الجنة ثم يلقى به في النار ، ولله در بن الجوزي- مع الفارق- وهو يقول: ولقد جَلَسْتُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ مَا فِيهِمْ إِلاَّ مَنْ قَدْ رَقَّ قَلْبُهُ، أَوْ دَمِعَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: كَيْفَ بِكِ إِنْ نَجَوْا وَهَلَكْتِ؟ فَصِحْتُ بِلِسَانِ وُجْدِي: إِلَهِي، وَسَيِّدِي، إِنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالْعَذَابِ غَدًا، فَلاَ تُعْلِمْهُمْ بِعَذَابِي، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ لاَ لأَجْلِي، لِئَلاَّ يَقُولُوا: عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ .
وأخيرا أسأل الله العفو والعافية والستر يوم العرض، وأختم هذا الكتيب بما قاله ابن الأثير: وَأَنَا اسْأَلُ كُلَّ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ أُولِي الْفَهْمِ وَالدِّرَايَةِ، وَأَرْبَابِ النَّقْلِ وَالرِّوَايَةِ، وَرَأَى فِيهِ خَلَلا، أَوْ لَمَحَ مِنْهُ زَلَلا أَنْ يُصْلِحَهُ، فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالتَّقْصِيرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْكَبِيرِ، مُعْتَرِفٌ بِالْعَجْزِ عَنِ الإِحَاطَةِ بِهَذَا الْبَحرِ الْغَزِيرِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.
وصلِّ اللَّهُمَّ وَسلم وَبَارك على نَبينَا مُحَمَّد، كلَّما ذكره الذاكرون، وغَفَلَ عن ذكره الغافلون، وعَلى آله وصحبه أَجْمَعِينَ آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
جمعه الراجي عفو ربه د. سيد رجب جيوشي

---

[١] أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رقم (٢٢٧٨).
[٢] انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث - ١ (٢٤/ ٤٥٣).